

جَامِعَةُ حَلَبٍ

كلية اللغات

العصر الجاهلي

ب. مولوي

الأدب والنصوص

الأعشى

الذكتور

محمد صبري الأشتر

مديرية الكتب والطبوعات الجامعية بحلب

١٩٦٩ - ١٩٧٠

جَامِعَةُ بَلْبَعِين

كلية اللغات

العصر الجاهلي

الأدب والنصوص

الاعشى

الدكتور
محمد صبري الأشتر

مديرية الكتب والطبوعات الجامعية بحلب

١٩٦٩ - ١٩٧٠

المقدمة

‘عنينا ، في كلية اللغات ، بدراسة الأعشى وزهير في العصر الجاهلي ، والأخطل في العصر الأموي‘ ، والنشوي في العصر العباسي ، ولعل سبب العناية ما لحظناه بين أولئك الشعراء من اتصال في الغرض والأسلوب .

فالأعشى وضع ، في العصر الجاهلي ، أصول فن البحر ، وأخذها عنه الأخطل في الاسلام ، وأبو نواس في العصر العباسي ، وقد أشار القدماء والمحدثون إلى تأثير الأعشى في هذين الشاعرين وغيرهما ممن قالوا في البحر .

كذلك تأثر الأخطل ، في أداء معانيه ، بالمدرسة الأوسية التي كانت ‘تعنى باختيار اللفظ ونجويد‘ ، وتنقيح الأسلوب وتهذيبه ، واستمداد الصور من الواقع الحي وتدقيقها .

وهكذا كانت دراسة ‘الأعشى مفيدة‘ لنا ، فقد سهلت علينا ربط بعض الظواهر الأدبية بالشعر الجاهلي ، وبيان تطور الغرض الواحد في المصور المختلفة .

وقد أحببت في هذا الجزء من كتاب العصر الجاهلي أن أقدم

دراسة 'موجزة' للأعشى 'توضيح' حياته وشعره وأغراضه الفنية ، ولم يكن
هذه في التعمق والاستقصاء ، وإنما كان أن ألفت نظراً الطلاب إلى
طريقة 'مبسطة' في دراسة الشاعر 'تبصير' بما يأخذون من درس
للشعر والأغراض الشعرية .

وقد جاءت الدراسة في فصول قصيرة تناولت الأعشى وشعره ،
واعتمدت ديوانه بطبعته الأوروبية والعربية . وأحب أن أشير هنا إلى
أنني اعتمدت الطبعة الأوروبية أساساً في الدراسة ، وقد أشرت إليها
بكلمة « الديوان » .

وآمل أن تكون هذه الدراسة 'التحليلية' وافية 'بالغرض' الذي
'وضعت' لأجله .

محمد صبري الأشقر

الفصل الفنون

حياة الأعشى

كان عصر الأعشى عصر تطور سريع شمل مختلف نواحي الحياة في الجزيرة العربية ، فكان الشعر في قمة نضجه ، وكانت اللغة الأدبية قد بانت معالمها ، وقامت على أسس مكينة ، واستقامت على طرق معلومة ، ولم تبق في الجزيرة بيئة شعرية تنفرد بقول الشعر أو إصداره إلى بيئة أخرى ، وإنما كانت البيئات الشعرية تتعاون ، ويظهر تعاونها في مظهر واحد مشترك ، وهكذا عاصر الأعشى نهضة الشعر ، وربما أسهم فيها ، وقد ذكر التاريخ أنه كان يشتردد كل سنة إلى سوق عكاظ ، وأن النابتة فضله على شعراء المؤمنين .

وامتاز عصره بأنه كان عصر اضطراب فكري وقلق روحي ، فقد انتشرت في الجزيرة ديانات مختلفة من يهودية ونصرانية وثنية ، وكانت هذه الديانات تتمازج ، وتولّد تيارات تنمر نفوس العرب ، وتؤثر في وجدانهم ومشورم ، وربما كان الشعراء أصدق الناس في التعبير عما ساد النفوس من قلق واضطراب .

وإذا التمسنا مظاهر هذه الحالة الروحية في الشعر وجدناها سطحية بسيطة مرة ، قوية عميقة مرة أخرى ، فالأعشى تأثر بالدين ، فذكر الرهبان والقسس والصوامع والنواقيس ، وفكر في حوادث الدهر ، ونظمها في شعره لليلة والعيرة ، وأمينة بن أبي الصلت نعبد ، ولبيس السُّوح ، وانتظر أن ينزل عليه الوحي ، وزهير بن أبي سلمى نظر ، وفكر ، فأمن بالله واليوم الآخر ، وورقة بن نوفل ترقب وقوع الحداث ، وطرفة بن العبد يبس من الحياة ، ولم يعرف غابتها ، فالصرف إلى الذات بعد شكه في الخلود ، ولعل هذا القلق هو الذي هبَّ نفوس العرب لقبول الدعوة .

١ - اسمه ونسبه ولقبه :

الأعشى هو ميمون بن قيس ، وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل من ربيعة (١) ، ويكنى أبا بصير (٢) ، ويلقب بالأعشى لضعف بصره ، وقد غدا لقبه اسماً له ، وربما دُعي بالأعشى الأكبر (٣) تمييزاً له من بقية الشعراء الذين كانوا يُعرفون بهذا الاسم . وقيل : سُمِّي بالأعشى لبيت في معلقته ، هو قوله (٤) :

أَئِنَّ رَأَتْ رَجُلًا أَعَشَى أَضَرَّ بِهِ رَيْبُ النُّونِ وَدَهْرُ مُفْنِدٍ خَيْلٍ

(١) الأغاني . مصور عن طبعة دار الكتب ج ٩ ص ١٠٨

(٢) الأغاني ج ٩ ص ١٠٨

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٢٠

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٢٠

وَيَلْقَبُ بِصَنَاجَةِ الْعَرَبِ لِمَا فِي شَعْرِهِ مِنْ جَلْبَةِ وَرْنَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ ،
وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قَتَيْبَةَ أَنَّهُ سَمِّيَ بِهَذَا اللَّقَبِ لِأَنَّهُ «أَوَّلُ مَنْ» ذَكَرَ
الصَّنَجَ فِي شَعْرِهِ ، (١) فَقَالَ :

وَمُسْتَجِيبٌ لِمَوْتِ الصَّنَجِ تَسْمَعُهُ إِذَا رَجَّعَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ

وَانْتَقَدَ صَاحِبُ الرِّوَاثِ (٢) أَنْ يَأْخُذَ الْأَدَبَاءُ بِهَذَا النَّهْجِ الَّذِي يَقُومُ
عَلَى اسْتِنْبَاطِ لَقَبِ الشَّاعِرِ مِنْ كَلِمَةٍ وَرَدَتْ فِي شَعْرِهِ . وَذَكَرَ مِنْ هَذَا
الْقَبِيلِ تَلْقِيبَ زِيَادِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بِالنَّابِغَةِ لَوُرُودٍ كَلِمَةً «نَبَغَتْ» ، فِي قَوْلِهِ :
وَحَلَّتْ فِي بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرِ فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مَنَا شَوْوُونَ

غَيْرَ أَنَّ تَلْقِيبَ الْأَعْنَى بِصَنَاجَةِ الْعَرَبِ لَا يَقُومُ عَلَى وَرُودِ لَفْظَةِ
«الصَّنَجِ» فِي شَعْرِهِ وَحَسْبُ ، وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُ عَلَى قِيَمِ «مُوسِيقِيَّةٍ» بِشَيْءٍ
الْأَعْنَى فِي شَعْرِهِ .

٢ - مَوْطَنُهُ :

نَشَأَ الْأَعْنَى فِي قَرْيَةٍ «مَنْفُوحَةٍ» بِالْيَمَامَةِ ، وَهِيَ إِقْلِيمٌ يَقَعُ فِي
الْطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَجْدٍ ، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ وَادِيَيْنِ يَتَدَانِ مِنْ
الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ ، هُمَا «الْمَرْضُ» وَ«قِرَانُ» ، وَيَفْصِلُهُ عَنِ الْخَلِيجِ
الْفَارِسِيِّ أَرْضُ الْبَحْرَيْنِ ، وَيَتَّصِلُ جَنُوبُهُ الْفَرَسِيُّ بِأَطْرَافِ الْيَمَنِ ،
وَعَرِيشُهُ بِالْحِجَازِ .

(١) الشعر والشعراء . تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

ج ١ ص ٢٥٨

(٢) الروائع . فؤاد أفرام البستاني . العدد ٣١ / ٤

وَعُرِفَ هَذَا الْاَقْلِيمُ بِالْخِصْبِ وَالْغِنَى ، وَامْتَاَزَ بِمَّا حَوْلَهُ بِحَيَاةٍ
مُسْتَقَرَّةٍ ، فَقَامَتْ فِي أَنْحَاثِهِ قُرَى صَغِيرَةٌ ، وَانْتَشَرَتْ فِي أَرْضِيهِ حُصُونٌ
قَدِيمَةٌ مِنْ عِمَارَةٍ « طَسَم » وَ « جَدِيس » (١) .

وَعَاشَتْ فِي الْيَمَامَةِ قِبَائِلُ بَكْرٍ ، تَجَاوَرَهَا بَطُونٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ
وَوَقِيمٍ ، وَانْتَشَرَتْ هَذِهِ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ ، وَامْتَدَّتْ إِلَى اطْرَافِ الْعِرَاقِ ،
وَقَامَتْ « مَنفُوحَةٌ » عَلَى جَانِبِ وَادِي « الْعَرْض » ، وَبِهَا أَنْشَأَ الشَّاعِرُ
فِي بَطْنٍ مِنْ بَطُونِ بَكْرٍ .

٣ - مَوْلَاهُ :

وَلَا نَعْرِفُ سَنَةَ مَوْلَاهُ ، وَلَا سَنَةَ وَفَاتِهِ ، وَهُسْتَدَلَّ مِنَ الْأَخْبَارِ
التَّصْلُحِ بِهِ ، وَالْأَسْمَاءِ الَّتِي ذُكِرَتْ مَعَهُ ، أَنَّهُ عَاشَ فِي آخِرِ الْعَصْرِ
الْجَاهِلِيِّ وَأَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، وَكَادَ يُسْلِمَ لَوْلَا أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ اعْتَرَضَهُ ،
وَرَدَّهُ عَنْ غَايَتِهِ ، وَأَغْرَاهُ بِإِلَافَةِ وَفِيرٍ (٢) .

٤ - أَهْلُوهُ :

وَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ نَشَأَتِهِ ، وَالرَّوَاةُ يَذْكُرُونَ أَنَّ أَبَاهُ قَيْسَ بْنَ
جَنْدَلٍ كَانَ يُدْعَى قَتِيلَ الْجَوْعِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي جَيْلٍ ، فَدَخَلَ
غَارًا ، فَوَقَعَتْ صَخْرَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْلِ ، فَسَدَّتْ فَمَ الْغَارِ ، لَمَاتِ جَوْعًا (٣) .

(١) دِيْوَانُ الْأَعْمَشِيِّ الْكَبِيرِ . مَرْحُومُ وَتَعْلِيْقُ الدُّكْتُورِ م . مُحَمَّدٍ حُسَيْنٍ ، الْمَطْبَعَةُ
النَّمُوذَجِيَّةُ بِالْقَاهِرَةِ . ص / ن

(٢) الْأَغَانِي ج ٩ ص ١٢٥ - ١٢٦

(٣) الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ج ١ ص ٢٥٧

وإلى ذلك يُشير جَهَنَامُ أَحَدُ شعراء بكر في هجائه للأعشى :
 أَبُوكَ قَتِيلُ الْجُوعِ قَيْسُ بْنُ جَنْدَلٍ وَخَالُكَ عَبْدٌ مِنْ خِمْعَةٍ رَاضِعُ
 وَلَا نَدْرِي أَبُشِيرُ الْبَيْتِ إِلَى حَادِثَةٍ وَقَعَتْ ، أَمْ وَضِيعَتِ الْحَادِثَةِ
 شَرْحاً لِلْبَيْتِ ، عَلَى أَنَّ خَالَ الْأَعْشى لَمْ يَكُنْ عَبْدًا ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمُسَيَّبُ
 ابْنَ عَلَسَ ، وَهُوَ مِنْ شعراء بكرِ بْنِ وَائِلِ الْمُعَدُوذِينَ ، (١) وَكَانَ
 الْأَعْشى رَاوِيَتَهُ (٢) .

٥ - زواجه وأسرته :

وَلَا نَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ زَوَاجِهِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ فِي شعره ، وَمَا سَأَلَهُ
 صَاحِبُ الْأَغَانِي ، فَقَدْ جَاءَ فِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ زَوْجٌ مِنْ عَفْزَةِ ثَمَمٍ مِنْ هِزْآنَ ، (٣) ،
 وَجَاءَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ أَنَّهُ وَكَانَتْ عِنْدَ الْأَعْشى امْرَأَةٌ فَأَقَامَهَا قَوْمُهَا
 فَضَرَبُوهُ ، وَقَالُوا : طَلِّقْهَا ، (٤) .

فَأَمَّا دِيْوَانُهُ فَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَةً يَهْوَاهَا ، لِيَتَمَتَّعَ بِغَيْرِهَا
 وَتَتَمَتَّعَ بِغَيْرِهِ (٥) ، وَذَهَبَ بَعْضُ شُرَاحِ الدِّيْوَانِ إِلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ الْمُطَلَّقةَ
 هِيَ الَّتِي أَكْثَرَهُ عَلَى تَرْكِهَا ، وَعِنَاهَا صَاحِبُ الْأَغَانِي فِي رَوَايَتِهِ الثَّانِيَةِ .

(١) الشعر والعراء ص ١٧٤

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٤

(٣) الأغاني ج ٩ ص ١٢١

(٤) الأغاني ج ٩ ص ١٢٢

(٥) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النوفجية ص ٢٦٣

وأما ولده فحادثته مع المخلّق تدل على أنه كان له ولد يقود
بميرة في أسفاره (١) ، وقد حدثنا عن ابنة له في إحدى قصائده (٢) ،
وصورها حريصة على استبقائه ، وتجنّبه الأسفار ، لأنها تخشى غوائل
الزمن ، وجفاء الأهل بعد رحيله ، ولعلها البنت التي كان يشاورها
في أمر شعره (٣) .

٦ - تطوافه :

عرف الأعشى بأسفاره الكثيرة ، وتنقله في البيئات المختلفة ،
وهذا أتاح له ثقافة تاريخية اجتماعية قل أن يجاريه فيها شاعر جاهلي ،
ومثالها ما نطالع في شعره من أخبار دطسم ، و دجديس ، و دعاد ،
و دثمود ، وأخبار ملوك اليمن والفرس .

وقد كان يسافر متكسباً بدمعه ، ويقال : وهو أول من
سأل بشعره ، وانتهج به أقاصي البلاد (٤) .

ويؤخذ من شعره أنه كان يزور اليمن وعدن ونجران ،
ويمدح من أربابها آل عبد المدان ، وسلامة ذا فائس ، والأسود
المنسي ، وقيس بن معد يكرب ، ويفيد إلى الحجاز ليؤافي سوق
عكاظ ، ويشارك في موسمها الأدبي ، ويترّل الأبلق حصن السموات ،

(١) الأغاني ج ٩ ص ١١٤

(٢) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٤١

(٣) الروائع . العدد ٣١ / ح

(٤) الأغاني ج ٩ ص ١٠٩

وَيَمُرُّ بِدِيَارِ كَلْبٍ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَيَنْزِلُ الْحَيْرَةَ ، وَيَمْدَحُ الْأَسْثُودَ بْنَ
الْمُنْذِرِ وَالنَّعْمَانَ ، وَيَخْتَلِطُ بِالْعِيَادِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، ثُمَّ
يَتَوَجَّهُ لِعُمَانَ مُحَازِيئاً الْخَلِيجَ الْفَارِسِيَّ ، وَقَدْ مَيَّجَاوَزَ حُدُودَ الْجَزِيرَةِ
إِلَى الشَّامِ ، أَوْ حُدُودَ الْعِرَاقِ إِلَى فَارَسَ ، فَيَمْدَحُ مُلُوكَهَا ، وَيَقْتُلُ إِلَى
شَعْرِهِ بَعْضَ الْأَلْفَافِ الْفَارَسِيَّةِ .

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الرِّوَاةَ تَزِيدُوا عَلَى الْأَعْشَى فِي تَقْلِ أَسْفَارِهِ ،
حَتَّى اجْتَمَعَ مِنْهَا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ أَخْبَارٌ تَحْمِلُ رَائِحَةَ الْأَسَاطِيرِ (١) ،
فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَنْتَجِرُ فِي «أَنْثَايَتَ» ، وَهِيَ قَرْيَةٌ فِي الْيَمَنِ وَكَانَ لَهُ
بِهَا مَعْتَصِرٌ لِلْخَمْرِ يَمْعُرُ فِيهِ مَا جَزَلَ لَهُ أَهْلُهَا مِنْ أَعْنَابِهِمْ (٢) .
وَفِيهَا قَوْلُهُ :

«أَحِبُّ أَنْثَايَتَ ذَاتِ الْكُورِ وَمِنْ عِنْدِ مُعْصَرَةِ أَعْنَابِهَا
وَمِنْهَا تَكُنُ أَسْفَارُهُ وَمَا دَارَ حَوْلَهَا مِنْ أَخْبَارٍ ، فَقَدْ أَصَابَ
بِأَعْدَابِهِ شُهْرَةً وَاسِعَةً ، وَصَارَ ذَا مَنْزِلَةٍ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَيُرْوَى أَنَّ
الْمُحَلِّقَ الْكَلَابِيَّ كَانَ رَجُلًا مِثْنَانًا مُمْلِكًا لَهُ ثَمَانِي بَنَاتٍ ، فَتَعْرِضُ لِلْأَعْشَى
عَلَى طَرِيقِ سَوَاقِ مُعَاظَ ، وَأَكْرَمَهُ ، فَمَدَحَهُ الْأَعْشَى ، وَذَكَرَ بَنَاتِهِ ،
فَتَزَوَّجَتْ (٣) .

(١) فِي الْأَدَبِ الْجَاهِلِيِّ . الدُّكْتُورُ طه حَبِيبٌ . مَطْبَعَةُ الْأَعْتَدَادِ بِبَغْدَادِ ١٩٢٧

ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٢) شَعْرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ . الْأَبُ لُؤَيْسُ شَيْخُو . طَبْعَةٌ ثَانِيَّةٌ . دَارُ الْمَشْرِقِ . بَيْرُوتُ .

ص ٣٧٥

(٣) الْأَغَانِي ج ٩ ص ١٣ - ١٤

وَيُروى أن امرأة جاءت الأعشى فقالت : إن لي بناتٍ قد كَسَدَنَ عليّ ، فَشَيَّبَ بواحدة منهن لعلها أن تَنفُقَ ، فَشَيَّبَ بواحدة فما شعر إلا بِجَزورٍ قد بُعِثَ به إليه ، فما زال يُشَيِّبُ بواحدة فواحدة حتى زَوَّجَن جميعاً (١) .

وبعض الأخبار تصوّر الشاعر مخوفاً مريبياً ، ومنها مدحه عامراً ابنَ العُثَيْلِ ، وهجاءه علقمة بنُ عُلاثة ، ومجملُ خبره معها أنه مدح الأسودَ العنسيَّ ، وَتَرَ حُلَّ عنه ، وقد قال عطاه ، فمر بيني عامر ، وخافهم على ما معه من عطايا ، وطلب حمايتهم ، فأجاره علقمة من كل شيء إلا الموت ، وأجاره عامر من كل شيء ، وكانت إجارته من الموت قنصبي أن يبعث المُعِيرَ ديتَه إلى أهله إن مات عنده ، فكان أن مدح الأعشى عامراً ، وهجا علقمة (٢) .

والخبر ، وما يتصل به من حديث ، صدق لا تُنافرة الشهيرة التي كانت بينَ علقمة وعامرٍ في الجاهلية ، واستمرت حتى قيام الإسلام ، فقد أسلم علقمة ، ولم يسلم عامر ، وحرّم الرسول على الناس إنشاد ما قيل في النافرة (٣) .

وقد شك الدكتور طه حسين في مدح الأعشى لعامر وهجائه لعلقمة ، وذكر أن النافرة بينها في الجاهلية واشتداد المصيبة حولها

(١) الأغاني ج ٩ ص ١١٨

(٢) الأغاني ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١

(٣) جهرة أشعار العرب . دار صادر بيروت ١٩٦٣ ص ٦٨

في الاسلام كانتا سبباً لانتحال الشعر في مدح أحدهما وهجاء الآخر ،
وقد حمّل الشعر على الأعشى وليدٍ والحطيئةٍ وعلى شعراء آخرين .

كما شكّ في قصة النافرة ذاتها ، فقد وُضعت في « الأغاني »
وزُيِّنت على نحو ما كانت القيصصُ « زرعُ » و « زبْنُ » بالسجع
والشعر والغريب (١) .

وقصة الأعشى مع أبي سفيان « تصوّر منزلة وسيرورة شعره ،
فقد روي أنه وفد إلى النبي ، ومدحه بقصيدة أولها :

« أَلَمْ تَفْتَحِمْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسْتَهْدَا »
فبلغ خبره « فريشاً فرصدوه على طريقه ، وقالوا : إنه « ينهاك » عن
إخلاق ويحرمها عليك . قال : وما هن ؟

فقال أبو سفيان : الزَّيْنا والقهار والريّاء والخر . ثم قال له أبو سفيان :
هل لك في خير مما هممت به .

قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن في هُدنة ، فتأخذُ مائةً
من الابل ، وترجع إلى بلدك سنّتكَ هذه ، وتظر ما يصير إليه
أمرنا . فقال : ما أكره ذلك . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ،
هذا الأعشى والله لثينٌ أنى محمداً واتبعه ليُضرمَنَ عليكم نيرانُ
العربِ بشعره ، فاجتمعوا له مائة من الابل . ففعلوا . فأخذها ، وانطلق
إلى بلده . فلما كان بقاع منفوحة رمى به بصره فقتله (٢) .

(١) في الأدب الجاهلي ص ٢٥٨

(٢) الأغاني ج ٩ ص ١٢٥ - ١٢٦

والقصّة ظاهرة الوَضْع ، فقد ذكر صاحب الروائع (١) أن
أقدم نصٍّ رَوَى القصةَ هو ما جاء في سيرة ابن هشام ، ويُستفادُ منه
أن الرسول كان في مكّة حين قصده الأعشى يريد الإسلام ، ولم يكن
الرسول آنذاك قد بلغ من القوة مبلغاً يجتذب الشاعر ، وقد حرّم
الحجر في المدينة لا في مكّة ، أضف إلى هذا أن القصة تصور الشاعرَ
جاهلاً أمورَ الدين .

وقد تنافست القبائل العربية في الإسلام ، وتفاخرت بماضيها في
الجاهلية ، ولا يبعدُ أن تكون المصيبةُ الرَّبَعِيَّةُ قد انتحلت قصةَ
إسلام الأعشى وقصيدته في مدح الرسولِ مُناهضةً لِطُفَرِ التي كانت
فيها النبوةُ والخلافةُ (٢) .

وهكذا فأسفارُ الأعشى وما يتصل بها من أخبار وأحاديث تحتاج
إلى ضبط وتحقيق لتمييز الدارمرُ المُشْتَعَلِ من الجميع ، وبصرف
وجه الحق والصواب .

٧ - تأثره بالبيئات الشعرية :

مرّ بنا أن الأعشى كان كثيرَ التنقل ، فقد رحّل إلى بلاد
كثيرة ، واتخذ الشعرَ حرفةً له ، فمدح الأمراء والأقبال والملوك ،
وجمع مالا وافرا حتى قيل إنه أولُ من " تكسّبَ بالشعر " واستقى
من أسفاره " تجاربَ " ضمّنها شعره لتكون عبرةً للناس .

(١) الروائع . العدد ٣١ / يد

(٢) في الأدب الجاهلي ص ٢٥٧ - ٢٥٨

غير أن الرواة استغلثوا تطواف الأعشى ، فوضعوا الأخبار ،
واتعلوا الأشعار ، ونسبوا إليه لأسباب ، بعضها يتصل بالعصية
القبلية ، وبعضها الآخر يرجع إلى العبث والفكاهة ، أو يتصل
بالشموية التي أرادت أن تبين احتياج العرب إلى المرمس في الجاهلية
كما في الاسلام^(١) ، ومن هذا أن الأعشى زار كيشرى ، وأنشده القصيدة
التي أولها (٢) :

أرقت وما هذا الشهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي ممشق
ففسرت له ، فلما سمعها قال : وإن كان هذا سير لقبر سقم ولا
عشق فما هو إلا لص^(٣) .

وبعضنا من ذلك أن نعرف البيئات التي أنشئت فيه ، وأعانت
على تكوين مذهبه الفني .

وأولى البيئات نجد ، وقد ذكر الرواة أن الأعشى نشأ في قرية
منفوحة بالهامة ، وهي قرية من نجد التي تعتبر البيئة الشعرية
الأصلية ، ومنها انتقل الشعر إلى حواضر الحجاز ، كما انتقل إلى
المراق والشام مع الوفود والشعراء الذين كانوا يقصدون المناذرة والمسامحة
لمدحهم ونوال عطائهم .

وقد سهل على الأعشى أن يستقي الشعر من منبعه الأول ،
ويعتقن اللغة ، ويتمثل روحها ، وتدلل قصائده الطوال على أنه

(١) في الأدب الجاهلي ص ٢٥٧

(٢) ديوان شعر الأعشى . مطبعة ادلف هلزموسن . يانه ١٩٢٧ ص ١٤٥

(٣) الأغاني ج ٩ ص ١١٥

مَلِك زِمَامَ اللّٰه ، وَعَرَفَ غَرِيبَهَا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ (١) :

وَبَيْدَاءَ قَفَرٍ كَبُرَ الدُّرُودُ مَشَارِبُهَا دَائِرَاتُ أَجْنُ
قَطَعْتُ إِذَا تَخَبُّ رَيْعَانُهَا بِدَوَسَرَةٍ جَسْرَةٍ كَالْقَدَنِ
فَأَفْنَيْتُهَا وَتَعَالَتْهَا عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرُّدَنِ
فَهَذَا الْقَوْلُ بَدَلٌ عَلَى إِحَاطَتِهِ بِاللّٰه ، وَتَمَكُّنِهِ مِنْهَا .

والبيئة الثانية هي البيئة المكيّة القرشية ، وَيَلْحَقُ بِهَا الطائف ، وقد امتازت بنشاطها التجاري والدني اللذين أثّرا في حياة العرب ولقّيتهم ، إذ كانت القبائل تنوّم مكّة للحجّ كلّ عام ، ويفيد رجالها وشمراؤها على سوق عكاظ لتبادل السِّلَع وتناشد الأشعار ، وقد وفد الأعشى إلى سوق عكاظ ، وأسهم في نشاطها الأدبي .
وذلك أعان على قيام نهضة أدبية وتكوين لغة عامة .

والبيئة الثالثة هي اليَمَنُ وحضرموت ، وقد تردّد إليها الشاعر ، فمدح الأقبيل والنّبابة ، كما مدح نصارى نجران وأخبارها طمعا في المال .

ولا نجد أثرا لبيئة الشام في شعره إلا دِكْرَهُ حِمَصَ فِي مَعْرِضِ قَوْلِهِ بِصُورٍ تَطَوَّقَهُ (٢) :

وَقَدْ طَفْتُ لِمَالِ آفَاقِهِ عَمَانَ فَحِمَصَ فَأُورِشَلَمَ
أَنْبَيْتُ النُّجَاشِيَّ فِي دَارِهِ وَأَرْضَ النَّيْطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ

(١) الديوان ص ١٥ - ١٦

(٢) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٤١

وعلى الرغم من أن الأعشى وقد مع حسان إلى آل جفنة
فانه لم يمدحهم كما مدحهم حسان والناطقة .

. والبيئة الخامسة هي الحيرة ، وقد كانت أقوى البيئات تأثيراً في
حياة الأعشى وشعره ، والحق أنه مدين يفتزله وتخريباته إلى هذه
البيئة التي نأثرت بظواهر الحضارة الفارسية المادية ، وبشرت للناس
مسبل اللهو . وقد اختلف الأعشى إلى مجالس الشراب والغناء ، فحرب
الحمر ، واستمع لغناء القيان ، وردة الميدان والمزاهير والصنّج (١) ،
وكان في الحيرة شمر بصور حياة اللهو ، فعدي بن زيد تقنى بالحمر
كما في قوله (٢) :

ودعوا بالصُّبُوح يوماً فجاءت	قينة في يمينها إربق
قدّمته على عقار كعبين الد	بك صفى سلافها الرءوق
مرّة قبل مزجها فاذا ما	مزجت لذة طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقايع كالبا	قوت حمر بشيرها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب	لا صدى آجين ولا مطر وق

وقد سمع الأعشى هذا القول وغيره من أقوال عدي ، وتأثر
بها في تخريباته ، وكان في الحيرة وغيرها من أنحاء العراق شعراء
أسهموا في تكوين اللغة الأدبية في آخر العصر الجاهلي .

(١) الديوان ص ٤٦

(٢) شعراء النصرانية قبل الاسلام . الأب لويس شيخو . طبعة كانية . دار المشرق .

بيروت . ص ٤٦٧

وإلى ذلك كانت إمارة المتأذرة تجتذب الشعراء ، فيفيدون إليها مدح الأمراء والملوك ، وأخذ مواليهم ، وكانت الإمارة تقامر سيادتها على نجد وما حولها ، فتؤثر في حياة القبائل ، وتستطيع بعض الشعراء من ذوى الشهرة والمكانة ليكونوا دعاة لها . فقد روى أن الأعشى قال له النعمان بن النذر : لملك تستعين على شرك هذا ، فقال له الأعشى احتسني في بيت حتى أقول . فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها (١) :

أأزمنت من آل لبلى ابتكاراً وتشطت على ذي هوى أن تزارا
وكان في الحيرة عناصر عربية تنتمي إلى قبائل عدة ، وتختصم فيما بينها ، فينشأ عن خصامها نشاط قوي يربط عرب الجزيرة في الهجرة إلى العراق .

وهكذا كان وجود العرب في العراق ، وقيام إمارة المتأذرة ، ووفود الشعر إليها من الجزيرة ، ونظمه في العراق ، أسباباً معينة على قيام نهضة أدبية ، وتكوين لغة عامة .

ونلاحظ تأثير بيئة العراق في عزل الأعشى في قوله (٢) :

وقد أراها وسط أنرابها	في الحى ذي البهجة والسامير
كدائمة صور عرابها	بمذهب في مرمز مائير
أو بيضة في العنصر مكنونة	أو درة شيفت لدى تاجر
يشقي غليل النفس لأم بها	حوراء نسي نظر الناظر

(١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٥٨

(٢) الديوان ص ١٠٤

فهو 'يشبّه' المرأة بالدمية والبيضة الكثيرة والدثرة الجاثوة ،
وهي صور 'متشرفة' 'تمثّل' حياة متحضرة ، و'تبتدئ' عن حياة البادية .
والمرأة التي 'تحبب' الموتى إغما تكون في المجتمعات المتحضرة ،
كما في قوله (١) :

لَوْ اسْتَنْدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَائِدٌ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
وهي مبالغة لا نجد لها في المجتمع البدوي .

ويبدو تأثير البيئة في تخريجاته في قوله (٢) :

وَصَهْبَاءٌ صَرَفَ كُلُّهُنَّ الْفُصُوفُ مِنْ بَاكَرَتٍ فِي الصَّبْحِ سَوَارَهَا
فَطَوَّرًا غَمِيلٌ بِنَا مُرَّةً وَطَوَّرًا نَعَالِيجُ إِسْرَارَهَا
تَكَادُ تَنْشِي وَلَمَّا تَذَقُّ وَتَنْشِي الْفَاصِلَ إِفْتَارَهَا
تَدِبُّ لَهَا فَتْرَةٌ فِي الْعِظَامِ وَتَنْشِي الذَّوَابَ قَوَارَهَا
فهو يصف لون الحمر ومزاجها ومذاقها وأثرها في الشرب .

ولعل من مظاهر تأثير البيئة الفارسية وقوم الفاط فارسية في
شعره ، ويُعكّل هذا بأن العراق كان يعيش في ظلّ الفرس ، وقد
تردّد الشاعر إلى ملوكهم ، فكثرت الفارسية في شعره كقوله (٣) :

فَلَا تُشْرَبَنَّ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيًا وَثَمَانِ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
مِنْ قَهْوَةٍ بَانَتْ بِفَارِسٍ صَفْوَةً تَدْعُ الْفَتَى مَلِكًا يَمِيلُ مُصَرِّعًا

(١) الديوان ص ١٠٥

(٢) الديوان ص ٢١٤

(٣) الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٥٨

بِالْجُلُثَّانِ وَطَيْبِ أَرْضَانِهِ بِالتَّوْنِ يَضْرِبُ لِي يَكْثُرُ الْأَصْبَمَا
وَالنَّايَ زَمَ وَبَرَبَطِ ذِي بُحَّةِ وَالصَّنَجِ يَسْكِي شَجْوَهُ أَنْ يَوْضَمَا

على أن الفارسية كثرت في شمره كثرة لا نجدها في شعر
عدي بن زيد الذي عاش في العراق ، وقد على ملوك فارس ، وهنا
يصيح لنا أن تتساءل : أليس من الجائر أن الشعوية استغلت
تطواف الأعشى في البلاد ، فانتحلت أشعاراً نسبتها إليه ، وضممتها
ألفاظاً فارسية لتبين احتياج العرب إلى الفرس في الجاهلية كما
في الاسلام ؟

٨ - مذهبه في الحياة :

عرف الأعشى بأنه صاحب لهو ومجون ، وظهر هذا في أخباره
وأشعاره ، فقد كان يقيم في منفوحة ، ثم يخرج ليتكسب بالديح ،
فيعتصد الأثراف والأمراء ، ثم يرجع إلى قومه لينعم بما كسب ،
وليتذوق أطايب الحياة من شراب وغناء ونساء .

وقد عرف في منفوحة هريرة التي شئب بها في مملته ،
ومطلعها (١) :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً بشها الرجل
وكانت هريرة أمة سوداء لحسان بن عمرو بن مرشد (٢) .

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٥٥ .

(٢) الأغاني ج ٩ ص ١١٣ .

وقيل : « كانت هريرة و«خليدة» «أختين قيننتين كانتا ليشر بهن
عمرو بن مرشد ، وكانتا تنيانه النصب ، وقدم بهما اليامة لما
هرب من النعمان ، (١) .

وعرف قتلة ، فقال يصفها (٢) :

يشفي غليل النفس لام بها حوراء نصبي نظرت الناظر

وعرف غير هريرة وقتلة ، وأسرف على نفسه في «نشدان المرأة
وتعاطي اللذات ، حتى عده ابن سلام بمن : «كان يتعهر ولا يقي
على نفسه ، ولا يتستر» (٣) ، وقرنه بامرئ القيس في هذا السيل .

وكما شفي بالمرأة آدم من الحرمة ، فقد كان يشربها في أسفاره ،
ويشجير بها ، ويثوب إلى داره ، فيجمع الفتيان من حوله لشراب وسماع
القناء ، وظل هذا ديدنه ، فلما مات تمحوّل الفتيان إلى قبره
يتنادمون عليه .

جاء في الأغاني قول أحدم : «قبر الأعشى بمنفوحة ، وأنا
رأيت ، فإذا أراء الفتيان أن يشربوا عرجوا إلى قبره ، فشرّبوا عنده ،
وسبّوا عنده فضلات الأقداح» (٤) .

وذكر صاحب الأغاني أن أحدم أنى اليامة والياً عليها ، فر

(١) الأغاني ج ٩ ص ١١٣ .

(٢) ديوان الأعشى . المطبعة النوفجية ص ١٣٩ .

(٣) طبقات الشعراء . شرح محمود محمد طاهر . دار المعارف ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) الأغاني ج ٩ ص ١٢٦ .

بمنفوحة ، وسأل عن قبر الأعشى ، فإذا هو بفناء بيته ، فمدل إليه ، فإذا هو رطب ، فسأل عن السبب ، فقيل له : إن الفتيان يُنادمونه ، فيجعلون قبره مجلساً رَجُلٍ منهم ، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه (١) .

والحق أن الأعشى كان مفطوراً على خلق الفتيان كما صورته طرفة في معلقته ، وهذا الخلقُ يتمثل في نجدة القبيلة إبان الحرب ، وطلبِ المتعة في السلم ، والمتعة ألوان ؛ فهي شربُ الخمر ، ودعوةُ الناس إلى شربها ، وعقدُ مجلسِ الشراب والثناء ، والهوُ بالنساء ، وكذلك كان الأعشى ، فهو يذود عن قومه ، ويفخر بقبيلته ، ويشرب الخمر ، ويسمع الغناء ، ويتعتم من المرأة ، فالخمر مبدولةٌ لمن يستطيعها ، والمرأة لا يغوز بها إلا الجسور .

فالأعشى تنقل في البلاد تنقلاً جعله يتغير ويتجدد ، فقد خالط بيئاتٍ مختلفة ، وتأثر بما شاع فيها من فكر وأخبار وعادات ومعتقدات ، وانعكس هذا في تفكيره وشعوره ، فنظر وفكر ، وجد لها ، ونمى واخشوشن في حياته .

وكان يذل ماله في سبيل لذاته ، فإذا كان في بشر اشترى الخمر بشمن غالٍ كما في قوله (٢) :

فَقُمْنَا وَلَمَّا بَصِيحٌ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ أَحَدٍ أَدِيهَا
تَفَحَّلَهَا مِنْ بَكَارِ الْقِيَطَا فِي أَرْبَرَقٍ آيَمْنٍ إِكْسَادِيهَا

(١) الأغاني ج ٩ ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) الديوان ص ٥١ - ٥٢

فَقُلْنَا لَهُ : هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلٍ مُقْتَادِهَا
 فَقَالَ : تَزِيدُ وَتَنِي نِسْمَةً وَلَيْسَتْ بِبَدَلٍ لِأَنْتَادِهَا
 فَقُلْنَا لِنُصَفِّينَا : أَعْطِيهِ فَلَمَّا رَأَى حَضَرَ مُشَادِهَا
 أَدْمَاءَ مِظْلَلَتَهُ بِالْيَسْرَا ج ، وَالْبِلْ غَامِرُ مُجْدَادِهَا
 دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْيِينُنَا بِمُنْقَادِهَا
 وَإِذَا كَانَ فِي عَشْرِ اشْتَرَى الْحَرَّ بِشَمْنٍ بَحْس .

وكان يخفى حينا ، ويتعيل حينا آخر كما في قوله (١) :
 إِنَّمَا تَزِينَا حِفَاةً لَا نَعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَخْفَى وَنَتَعِيلُ
 ومما يكن من أمر فقد تقلب الأعشى في أحوال عدة ، فترجع
 بين الفكر والمعتقدات ، وبين الجيد والعبث ، وبين الغنى والفقر ،
 وكان ذلك نتيجة أسفاره وتقلبه في البلاد .

٩ - دينه :

وقعت في شعر الأعشى أبيات وصور دللت على تأثره بالنصرانية ،
 ورد بعض الباحثين هذا الأثر إلى نشأته الأولى في اليمامة ، وإلى وفوده
 على البلاد التي شاعت فيها النصرانية من مثل "نجران" وإمارة الحيرة
 وإمارة غسان .

فقد ذكر صاحب الروائع (٢) ، نقلاً عن الأب لويس شيخو ، أن

(١) الديوان ص ٤٥

(٢) الروائع . العدد ٣١ / و ، ص ٤٥

كثرة سكان اليمامة كانوا من بني حنيفة الذين انتشرت فيهم النصرانية ،
وأن الأعشى اتصل بأميرهم هوذة بن علي ، وكان هذا قد أسر قوماً من
نهم ، وأطلقهم في عيد الفصح ، فقال الشاعر بمدحه (١) :

نهم "تقرب يوم الفصح ضاحية" يرجو الاله بما سدئ وما صنعنا

ورويت كلمة " (الفصح) مكان (الفصح) في قوله (٢) :

نهم "تقرب يوم الفصح ضاحية" يرجو الاله بما سدئ وما صنعنا

ومدح الأعشى قيس بن معد يكرب ، فرفعه فوق الراهب
المشكف في هيكله أمام عليه (٣) :

وما أبلي على هيكلك بناءً وصلب فيه وصارا
يرأوح من صلوات الملبك طوراً سجوداً وطوراً جواراً
بأعظم منه تقى في الحساب إذا النشأت نقضت القبارا

وأقم براهب الشج ، وبالكبة التي بناها قصي وابن جرهم (٤) :

فأنسى وتوبني راهب الشج ، والتي بناها قصي والمضاض بن جرهم
لشئ جد أسباب العداوة بيننا لتتر تحيلن مني على ظهر شينهم

وأقم رب الساجدين في المشيات ، ورب راهب النصارى يدق

(١) الديوان ص ٨٧

(٢) الديوان . المطبعة النموذجية بالعمارة ص ١١١

(٣) المصدر نفسه ص ٥٣

(٤) المصدر نفسه ص ١٢٥

الناقوس (١) :

فانتى ورَبِّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوس النصارى أيلها
أصاليحكُم حتى تبؤوا بثلها كصرخة حبلى بشرتها قبولها

ويشرب الخمر إبان ضرب النواقيص (٢) :

وكأس كعنين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيص تضرب

وقوى خبرنا نثر الأعشى بالنصرانية أن راوبته يحيى بن
تمشى كان نصرانيا ، فقد جاء في الأغاني أن ابن حرب قال (٣) : وقال
لي يحيى بن تمشى راوية الأعشى ، وكان نصرانيا عباديا ، وكان
معمرا ، قال : كان الأعشى قدريا ، وكان ليبد ميثا ، قال ليد :
من هداه سبل الخير اهتدى فاعيم البالي ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالـ مدل وتولى التلامة الرجل

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل
العباديين نصارى الحيرة كان يأتهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك .

فالأعشى حصل في تطوافه ثقافة تاريخية واجتماعية ودينية

(١) الديوان . المطبعة النسخية بالقاهرة ص ١٧٧

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٣

(٣) الأغاني ج ٩ ص ١١٢ - ١١٣

ظهرت آثارها في شعره ، واتخذ من الرهبان والأديرة والنواقيس
مادة للوصف والتصوير .

والحق أن الإشارة إلى عيد الفصح ، وضرب ناقوس ،
وتشبيه قيس بن معد يكرب بالراهب في صلاته وتقواه ، والقسم
برب الساجدين والراهب المتعبد لا ينهض دليلاً على نصرانية الشاعر (١) ،
ومع أنه أدرك الاسلام ، وتوقد على الرسول مادحاً كما قيل ، فإنه لم
يمتنق الدين الجديد ، ولم ينظمه أحد في سلك الاسلام . ولا
يمكن أن يُعدَّ نصرانياً على الرغم من قوله بالطبيعة الواحدة ، وصلاته
بالتأذرة والعباد من نصارى الحيرة (٢) ، وأثر النصرانية في شعره
سطحي لا يثبت أخذه بها ، وإنما كان شأنه شأن بقية الشعراء
الذين صوروا الفكر الدينية في محيطهم من غير أن يمتنعوا ديناً ،
ويصدروا عنه فيما قالوا .

١٠ - وفاته :

جاء في الأغاني أن الأعشى انطلق إلى دله بعد أخذه مائة من
الابل من قريش ، جزاء ارتداده عن الاسلام ، فلما كان بقاع منفوحة
رمى به بصره فقتله (٣) .

(١) الديوان . المطبعة النموذجية بالقاهرة ص / ت

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٠

(٣) الأغاني ج ٩ ص ١٢٥ - ١٢٦

وأشار ثعلب ، في شرحه ديوان الأعشى ، إلى أنه مكث زميناً
باليامة (١) ، ثم مات فيها .

وذكر صاحب الأغاني أن قبره بفناء بيته في منفوحة ، وأن الفتيان
ينادمونه ، فيجملون قبره "بجليس" رجُلٍ منهم ، فإذا صار القدحُ صبوحاً
عليه (٢) .

فأمّا موته بقاع منفوحة - فيدخل في إطار القصة التي يغلب
عليها الوضع ، وأمّا منادته على قبره فتُمثِّل ما كان يتصوره الناس
من حبه للخمر وتهالكه عليها .

(١) الديوان ص ١٠١

(٢) الأغاني ج ٩ ص ١٢٦ - ١٢٧

الفصل الثاني

أغراض

١ - غزله :

مرة بنا أن الأعشى قال في فديونٍ من الشعر أظهرها الغزلُ
والحجر والمدح والفخر ، وهذه الأغراض أدلُّ من غيرها على شخصيته ،
فقد كان صاحبَ لذة ، يجد في المرأة والحرة ما يُروِّي ظمأه ، وكان
المدحُ وسيلته إلى كسب المال ، فقصده الأشراف والأمراء والملوك بمدحهم ،
وبنال عطاهم ، ويتمتع بما كسب .

وقد كان صادقاً في غزله وخمره لأنها قاما على مؤثِّر داخلي ،
وكان صادقاً في مدحه لأنه احتاج إلى المال الذي يُيسره على لذته ، وهكذا
صور المدحُ طمعه في المال أكثرَ ممَّا صور إكباره للمدوح ، وبعبارة
أخرى قام شعره في المدح على مؤثِّر مادي خارجي .

وتلك الفنون الثلاثة تمثل شخصيته ، فهي تصور نفسه ، وجوانب
من حياة المجتمعات التي خالطها في تطوَّره .

وإذا التمسنا شخصية الشاعر عند القدماء وجدناها قائمة على تلك الفنون ، فقد أشار كثيرون إلى غزله وخمرياته من جهة ، وإلى غزارة شعره وطول قصائده من جهة أخرى .

وقد كان الأعشى تزوج من عَنزَرة ثم من هزْآن ، وأكثره على تطلق إحدى زوجاته ، وهذا يعني أنه لم يعرف حياة آمنة مطمئنة .

كذلك عرف نساء بعضهن قيان كهريرة وقتلة ، وبعضهن بنايا لقيتهن إبان تطوافه في البلاد ، وقد صورهن في قوله (١) :

فَنَازِعَتِي إِذَا خَلَّتْ بُرْدَهَا	مُفَضَّلَةً غَيْرَ جَلْبَابِهَا
فَلَمَّا التَقَيْنَا عَلَى بَابِهَا	وَمَدَّتْ إِلَيَّ بَأْسَابِهَا
بَدَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا	وَجَادَتْ بِحُكْمِي لِأَلْهَى رِبَا
فَطَوَّرًا تَكُونُ مِهَادًا لَنَا	وَطَوَّرًا أَكُونُ فِعْطَلِي بِهَا

فهو يجاذبها ثوبها في خدرها ، فتتأبى عليه ، ثم يقص خبره معها حين التقينا على بابها ، فقد مدت له حبال وصلها ، وطلبت ما شاءت من أجر ، وبذل لها ما أرادت ، وجادت عليه بما اشتى منها .

وهذا الوصف الأباحي يدخل في باب الأدب الصريح المكشوف الذي افتحه امرؤ القيس للشعراء من بعده ، فقد قال في معلقته (٢) :

(١) الديوان . المطبعة النموذجية ص ١٧١

(٢) هزج القصائد السبع الطوال الجاهليات . الأنباري . دار المعارف ١٩٦٣

فَمِثْلِكَ 'جَبَلْتِي قَدْ طَرَقَتْ وَ'مَرَضِيْعٌ' قَالَتْ هَبْثُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ 'مَحْوِلٌ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ' خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ' بِشِقٍ وَنَحَى شَقِهَا لَمْ 'يَحْوَلْ'
وَهَكَذَا عَرَفَ الْأَعْشَى أَصْنَافًا مِنَ النِّسَاءِ مِنْهُنَّ الزَّوْجَةُ ،
وَالْقَيْنَةُ ، وَالبَغِي .

وَقَدْ أَلْهَمَتْهُ الْمَرَأَةُ الْقَوْلَ ، فَتَنَزَّلَ بِهَا ، وَدَارَ غَزْلُهُ عَلَى وَصْفِهَا ،
وَتَصَوَّرَ شَعُورَهُ 'نَحْوَهَا' ، وَقَدْ كَانَتْ فِي نَظَرِهِ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ اللَّهِ ،
فَهِىَ جَسَدٌ 'يُرَوِّي ظَمَأً' ، وَبُطْفَيْهِ شَهْوَتُهُ الْعَارِمَةُ ، وَقَلْبُهَا سَمَا بِهَا
فَوْقَ عَالَمِهَا الْمَادِيِّ ، وَقَدْ 'يَجْبُرُ' عَنْ عَاطِفَةِ الْبَيْنِ وَالشُّوقِ ، أَوْ يَقْصُ
ذِكْرِيَّاتِ شَبَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْزَنَ عَلَى مَا قَاتَهُ ، وَرُبَّمَا لَذَّيْهِ الرِّجُوعُ
إِلَى مَاضِيهِ .

وَيَتَسِيمُ غَزْلُهُ بِرِقَّةٍ وَخُنُوثَةٍ وَخِلَاعَةٍ ، وَهِيَ صِفَاتُ قَلْبِهَا 'عَبْدَانَا'
فِي غَزْلِ الْجَاهِلِيِّينَ ، وَلَمَّا نَأَثَرَ فِي ذَلِكَ بِمَا عَرَفَ فِي الْحَيَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الْبَيِّنَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَحَفِّظَةِ .

وَقَدْ لَاحِظَ الْقَدَمَاءُ رِقَّتَهُ وَخُنُوثَتَهُ فِي غَزْلِهِ ، فَقَالَ الشَّامِيُّ (١) :
'الْأَعْشَى 'أَعَزَّلُ' النَّاسَ فِي بَيْتٍ ، وَأَخْنَثُ' النَّاسَ فِي بَيْتٍ ، وَأَشْجَعُ'
النَّاسَ فِي بَيْتٍ ، فَأَمَّا أَغْزَلُ' بَيْتٍ فَقَوْلُهُ :

'غَرْاءُ' فَرْعَاءُ 'مَصْقُولُ' عَوَارِضُهَا 'تَمْشِي' الْمُتَوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِيي الْوَجِيلُ'
وَأَمَّا أَخْنَثُ' بَيْتٍ فَقَوْلُهُ :

قَالَتْ 'هَرَبْرَةٌ' لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَبَلَّيَ 'هَلْبَيْتُكَ' وَوَبَلَّيَ مِنْكَ يَارَ جُلُ'

(١) الْأَغَانِي ج ٩ ص ١١٢

وَأَمَّا أَشْجَعُ بَيْتِ فَقُولُهُ :

قَالُوا الطِّرَادُ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَاثْنَا مَعْتَرُ نَزْلُ

كذلك لاحظ القدماء تَعَهَّرَ في حياته ، فقال ابن سلام يفرق بين فتيين من الشعراء (١) : «فكان من الشعراء من يتألف في جاهليته ، ويتعفف في شمره ، ولا يستبهر بالفواحش ، ولا يشهكهم في الهجاء ، ومنهم من كان يتعهر ولا يبغي على نفسه ، ولا يتسخر ، منهم امرؤ القيس ومنهم الأعشى» .

فامرؤ القيس والأعشى ، وغبثرهما من الشعراء يؤلفون فريقاً مخالفاً للأول في مذهبه ، فيينا الأول ينحو نحو التدين والتعفف إذا الثاني يقاريف الذات ، ويرتكب الفواحش ، فمذهب الأول هو التعفف ، ومذهب الثاني هو الإباحة .

ونلاحظ في غزل الأعشى تأثير بيتيها بيتة البادية ، وبيتة المراق ولا سيما الحيرة ، وقد ظهر تأثير البادية في النزول ، وفي الوقوف على الأطلال ، والتعبير عن عاطفة الين والشوق ، ووصف المرأة .

فأما الوقوف على الأطلال فقليل في شعر الأعشى ، ومنه قوله (٢) :

مَا بَكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسْوَالي قَهْلُ تَرْدُ سُؤَالِي
دِمْنَةُ قَفْرَةٍ تَمَاوَرَهَا الصَّبِي فُ بَرِيحَيْنِ مِنْ صَبَا وَشَمَالِ

(١) طقات الشعراء ص ٣٤ - ٣٥

(٢) الديوان ص ٣

فهو يستفهم : فيمَ وقوفُ الرجلِ بالأطلالِ يَشْكِي وَيَسْأَلُ ،
وهو يعلم أن الدِّمْنَةَ القَفْشَةَ التي تعبت بها رباحُ الصيفِ لا تَرُدُّ السَّوَالِ .

والحقُّ أنه لم يُعْنِ بوصف الأطلالِ ، فليس في ديوانه إلا قصائدُ
معدوداتُ بدأها بالوقوفِ على الدِّيارِ ، وسببُ ذلك أنه طَوَّفَ في
البلادِ ، فلم يُلازِمِ قبيلته في حُلَّها وَتَرَحُّلِها .

على أنه يقف بالدِّيارِ . ويصفها في بيتين كما رأينا ، أو في بيت واحد
كقوله (١) :

لَبِثْنَا دَارًا قَدْ تَعَفَّتْ طُلُوثُهَا عَفَّتْهَا نَضِيبَاتُ الصَّبَا فَنَسِيلُهَا

وأما التعبير عن عاطفة الين والشوق فضعيفٌ في عزله ، وسببه
أن الأعشى لم يكن يُشجِّبه 'بعْدُ' المرأة ، فهي وسيلة من وسائل اللهو ،
إذا فقد واحدة وجد غيرها .

وأما وصفُ المرأة فحسبُ يفيض بالشهوة ، ويُشير كَوَامِينُهَا
كقوله (٢) :

وَأَفْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أَرْزَنًا
مِنْ كَلِّ يَنْضَاءَ تَمْكُورَةً لَهَا بَشَرٌ فَاصِعٌ كَاللَّبَنِ

فهو لا يفرق في لذه بين 'مَحْرَمٍ' ومُبَاحٍ ، ويُعائِر النساء
بالزَّوْاجِ والزَّيْنَا ، ويُؤثِّرُ مَنْ كَانَتْ يَنْضَاءُ ، مَفْتُولَةً الْقَوَامِ ، فَاصِعَةً
الْجِلْدَ كَالْبَنِ .

(١) الديوان ص ١٢٢

(٢) الديوان ص ١٥

وَمِنْ أَظْهَرِ الْأَمْثَلِ عَلَى عِزِّهِ الْفَيْئَاضُ بِالشَّهْوَةِ ، قَوْلُهُ فِي سَاحِبَتِهِ
 قَتِيلَةٌ ، فَهُوَ يُدَقِّقُ فِي وَصْفِ جَسَمِهَا ، وَيَتَّبِعُ مَا أَخْفَتْ مَلَابِئُهَا مِنْ
 مَوَاضِعِ الْفِتْنَةِ ، وَيَتَصَوَّرُهَا حِينَ تَقْعُدُ وَتَقُومُ ، وَتَقِيلُ وَتُدِيرُ ،
 وَتَلَوِّحُ يَدَيْهَا فِي دَلَالٍ ، وَتَتَفَضَّلُ فِي ثِيَابِ النُّومِ ، وَتَتَبَطِّحُ عَلَى
 الْأَرْضِ (١) :

صَحَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِ قَتِيلَةٍ بَعْدَ مَا يَكُونُ لَهَا مِثْلُ الْأَسِيرِ الْمُكْبَلِ
 لَهَا قَسْدَمٌ رِيًّا سِبَاطُ بَنَاتِهَا قَدْ اعْتَدَلَتْ فِي حُسْنِ خَلْقٍ مُبْتَلِ
 وَسَاقَانِ مَارَ الْأَعْنَمُ مَوْزَأَ عَلَيْهِمَا إِلَى مُنْتَهَى خَلْقِهَا لِيَا التَّصَلُّعِ
 إِذَا التَّمِيسَتْ أُرْبِيَّتَاهَا تَمَانَدَتْ لَهَا الْكَفُ فِي رَابٍ مِنَ الْخَلْقِ مُفْضِلِ
 إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ارْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ مِنَ الْحُسْنِ ظِلَافُوقَ خَلْقٍ مُكْمَلِ
 إِذَا انْبَطَحَتْ جَافَتْ عَنِ الْأَرْضِ جَنْبُهَا وَخَوْمَى بِهَا رَابٍ كَهَامَةٍ مُجْنَبِلِ
 إِذَا مَا عَلَاهَا قَارِرٌ مَتَبَذِّلٌ فَنِعْمَ فِرَاشُ الْفَارِسِ الْمُتَبَذِّلِ

قَقْدَمُهَا مُسْتَرْسِيَةٌ الْبَنَانُ ، وَقَامَتَا مُعْتَدِلَةٌ ، تَامَّةُ الْخَلْقِ ،
 حَمْسَةُ التَّنَاسُقِ ، وَسَاقَاهَا مُمْتَلِئَتَانِ ، يَتَرَجَّرُجُ لَحْمُهَا حَقٌّ مَوْضِعِ
 الْخَلْقِ الْخَالِ الرَّيْثَانُ ، وَإِذَا التَّمَسَ سَاحِبُهَا أُرْدَافُهَا ظِلٌّ يَصْمَدُ يَسْدُهُ فِي
 سَاقَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَ هَذَا الْكَيْبَ الَّذِي يُبْلَغُ عَلَى خَلْقِهَا الْمُكْمَلِ ظِلًّا
 مِنْ حُسْنٍ ، وَيَمُضِي مَعَ خَيَالِهِ فِي تَصْوِيرِ سَاحِبَتِهِ ، فَهِيَ إِذَا انْبَطَحَتْ عَلَى
 الْأَرْضِ بِجَسَمِهَا الْمَدِيدِ جَفَا خَصَرُهَا الدَّقِيقِ عَنِ الْفَرَاشِ ، وَانْحَطَّتْ أُرْدَافُهَا

(١) ديوان الأعمى الكبير . الطبعة النموذجية ص ٣٥١

الضخمة كأنها رأس القدح الخشي ، وإذا علاها فارس متبذّل كانت له
فراشا حسنا فاعما .

فالشاعر قصّر همه على وصف تحاسن صاحبتيه ، ولم يصور شيئا
من جمالها الضوي ، فكان ماديا حسيا في غزله .

وقد وصف نفسه بأنه صاحب لذة في قوله (١) :

حَفِظْتُ الشَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا فَخَلَّتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخِلَالِهَا
وقد يعنى في غزله بوصف المرأة وَتَشَعُّبِهَا كقوله في هريرة (٢) :

غُرَّةٌ أَفْرَعَاءُ مَصْقُولٌ هَوَارِضُهَا تَمْشِي الْمُوَيْنَتِي كَأَمْشِي الْوَجِيي الْوَحِيلُ
كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارِيهَا مَرَّةُ السَّعَابَةِ لَا رَيْثُ وَلَا عَجَلُ
تَسْمَعُ لِلْحَلْتِي وَسَوَامَا إِذَا تَهَرَّقَتْ كَأَسْتَعْمَانَ بِرَيْعٍ هَشْرَقِي زَجِيلُ
لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيرَانَ طَلَعَتْهَا وَلَا تَرَاهَا لَيْرُ الْجَارِ تَحْتَنِيلُ
يَكَادُ يَصْرَعُهَا لَوْ لَا تَشَدُّدُهَا إِذَا تَقُومُ إِلَى جَارَانِهَا الْكَسَلُ
إِذَا تَقُومُ بِضُوعِ الْمِسْكِ أَمْثُورَةٌ وَالزُّبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمْلُ
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِيَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلُ هَطِيلُ
بِضَاحِكِ الشَّمْسِ مِنْهَا كَوَكَبُ شَرْقُ مُؤَزَّرُ بَعْمِ الثَّبَتِ مُكْتَنِيلُ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِدْنَا الْأُصْلُ

فالشاعر يصف هريرة ، فهي بيضاء ، واسيمة الجبين ، طويلة

(١) الديوان ص ٢٣

(٢) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٥٥

الشعر ، "تقيّة" الأسنان ، تنهي "تمتمّة" ، وتتهائل في مشيتها لسمها ،
ويكثر وصف مشيتها ، فهي تنهي "متباطئة" كما "تمرّ" المعابة .

ويصف حليها من غير أن ينسج حركتها ، فيجعل لحليها صوتاً
حين تنهي ، ويشيّه بصوت حبّ المشرق إذا ضربته الريح ،
ويصف هذا الشجر بأنه زجّل .

ويصور بعض خلقها ، فجيرانها "محبّون" لقاءها ، وهي لا
تسترق أخبارهم .

ثم يصفها بالسّمين والنمعة والترّف وطيب الرائحة ، فهي إذا قامت
انضّوع منها السك ، كأنما "تضوّع" من عدة حقائق ، وانتشرت رائحة
زيت الياسمين "منبعثة" من أطراف أكامها ، فشملت المكان الذي
هي فيه .

ولا يكتفي بما تقدّم من وصفها ، وإنما يسوق صورة "مفصّلة"
لروضة "ممشية" قامت في موضع من اليمامة ، وجادها مطر غزير ، فتفتّح
فيها زهّر "بضاحيك الشمس" ، ويكتفئ نبات تامّ النشوء ، وبعد أن
يصف الروضة هذا الوصف ، يفصّل صاحبته على الروضة ، فيجعلها
أطيب منها رائحة ، وأجمل منها منظرًا في الأصيل .

فالشاعر "أقل" من تصوير عاطفته ، وأكثر من وصف صاحبته ،
فتذكر بياض لونها ، وطول شعرها ، وتقاء أسنانها ، وتمهلها في مشيتها ،
وصوت حليها ، وسمتها ، وترفها في عيشها ، وطيب رائحتها ، ففرّقه
يقوم على الوصف الحسي .

والوصف تغني بالحياة والحركة والصوت واللون والرائحة ، فحريرة
تمشي الموثني ، ومشيتها كتمر السحاب ، وتمشي من بيت جارتها ،
وإذا قامت نضوع منها اليسك . والحركة في وصف ما تقدم هيئة
ليئة لطيفة .

ولسمع ، في الوصف ، وسواس الحلي ، وزجل المشرق ،
وشم رائحة المك وزيت الباسمين .

وزي يباض حريرة ، ونقاء أسنانها ، وحمرة الزئبق ، وخضرة
الروضة ، ونلع صفرة الأصيل .

فالشاعر يعرض صاحبته في إطار الطبيعة يشتمل على المحابة
والريح والشرق والروضة .

ووصف حريرة يشيف عن ظاهرة الغنى ، فهي كسول لترفها
وتشتمها وفرط غزارتها ، وهي تقتني الحلي ، وتطيب بالمسك
وزيت الباسمين .

والألفاظ ملائمة للغزل ، والشاعر يعنى بالصفات ، فحريرة عراء
فرعاء مصقولة الموارض ، والرجل وحيل ، والمشرق زجل ،
والزئبق الوردة شميل ، والروضة مشية خضراء ، والمطر ممبل
هليل ، والكوكب شرق مؤرر بعم التبت مكشمل .

ولكنه لا يتخلص في غزله من نزعة الحسية ، فهو يجد في المرأة
متعة نفسه ، ويحط شهوته كقوله في حريرة (١) :

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٥٥

نعم العُجُيْبُ غَدَاةُ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا لَذَّةُ الْمَرَّةِ لَا جَافٍ وَلَا تَقِيلُ

وَيَشْفِي نَفْسَ الْحَرَمِيِّ بِالْتِمَتِ مِنْهَا ، كَقَوْلِهِ فِي قَبِيلَةِ (١) بِر

يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لَا بِهَا حَوْرَاءُ تُصْنِي ظَنَرَ النَّظَائِرِ

وَقَدْ بَيَّتُ مُسَهَّدًا مُؤَرِّقًا لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ أَخْلَفَتْ مِعَادَهَا ، ثُمَّ

يَتَسَامَكُ ، وَيَصُورُ نَفْسَهُ قَوِيًّا عَلَى وَصْلِ الْمَحَبَّةِ وَقَطِيعَتِهَا ، وَيَسْتَبْدِلُ بِهَا

امْرَأَةً مِثْلَهَا مَفْتُونَةٌ بِشَبَابِهَا ، وَيُزَوِّرُهَا لَيْلًا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ زَوْجِهَا ،

فَيَقُولُ (٢) :

أَجِدُكَ لَمْ تَنْتَمِضْ لَيْلَةً فَتَرَقَّدَهَا مَعَ رُقَاتِهَا

تَذَكَّرْتُ نَيْثًا وَأَنْثَى بِهَا وَقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِعَادِهَا

فَمِيطِي تَمِيطِي بِمُتَلَبِّ الْفُؤَادِ وَاصُولِ حَبَالِ وَكُنَادِهَا

وَمِثْلِكَ مُنْجَبَّةٌ بِالشُّبَا بِ صَاكَ الْعَبِيرِ بِأَجْمَادِهَا

تَسَدَّيْتُهَا عَادَتِي ظُلْمَةٌ وَعَقْلَةٌ عَيْنِي وَإِقَادِهَا

فَيْتُ الْخَلِيفَةَ مِنْ زَوْجِهَا وَسَيِّدِ نَيْثًا وَمُسْتَادِهَا

وَلَوْ كَانَ عَاشِقًا حَقًّا لَكَانَ أَرْقَ وَأَلْيَنَ فِي مَخَاطِبَةِ صَاحِبَتِهِ ،

وَاسْتِطَافِهَا ، وَاسْتَنْجَازِهَا مُوعِدَتَهَا ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ .

فَهُوَ لَا يَفْرِقُ فِي لَدُنْهِ بَيْنَ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، فَالرَّأَةُ لِمَنْ مَلَكَهَا ،

(١) ديوان الأعمش الكبير . المطبعة النوفجية ص ١٣٩

(٢) المصدر نفسه ص ٦٩

ولا يفوز بها إلا الجسور ، ومن أجدر هذا كان يطيب له أن يصور
المرأة متزوجة ، ويصور نفسه غالباً على صاحبها فيقول (١) :

وَمَصَابِرُ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا	تَفَرَّتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا
قَدْ رُبَّتْ رَائِدَهَا ، وَشَاةٌ مُحَاذِرُ	حَذَرًا يُقِيلُ بَيْنِهِ أَعْقَالَهَا
فَطَلَيْتُ أَرْعَاهَا وَظَلٌّ يَحْوَطُهَا	حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ	فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَطِيحَالَهَا
تَحْفِظُ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا	فَفَعَلْتُ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا

فهو يصور رجلاً ينفار على صاحبه ، ويحوطها بيده خوفاً وحذراً ،
ويصور نفسه ينتظر غفلة الرجل عنها ليخطو إليها ، ويقضي وطره منها ،
وقد يصور المرأة متمتعة لا يصير إليها إلا بعد لآلي (٢) :

وَلَقَدْ أَتَاكَ الْوَصْلُ فِي مُتَمَتِّعٍ صَعْبٍ بَنَاءِ الْأَوَّلُونَ مَصَادِرُ

غير أنه يعبر أحياناً عن عاطفة البين ، وينلو في تصويرها كقوله (٣) :

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا	وَشَطَّيْتُ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا
وَبَانَتْ بِهَا غُرَبَاتُ الثَّوَى	وَبَدَّلْتُ شَوْقًا بِهَا وَادِّكَارَا
فَقَاضَتْ دُمُوعِي كَقَبِضِ الثَّرْوِ	بِإِمَّا وَكَيْفًا وَإِمَّا انْتَعِدَارَا
كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ تَطْمِيهِ	لَأَلْيَةِ مُنْتَعِدِرَاتٍ صِفَارَا

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٢٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٩

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥

فهو يسأل نفسه : أهو مُزْمِعُ الرّحيلِ عن آل ليلي في البُكور ،
 وكأنه لا يصدق أنه مُفارقُها ، ثم بصور نفسه ببدأ عنها كلُّ البعد ،
 وأنه لا يستطيع زيارتها ، ولا يكتفي بالتبشير عن عاطفة الين ، وإنما
 يبكي ، ويبالغ في وصف بكائه ، فيجعل دموعه "تفيض فيض الدلاء" ،
 ويصورها صورة ثانية ، فهي "حَبَّتْ لَوْلُو" "تَبَدَّدَتْ" ، وكانت منطلومة
 في سيلك .

والحزين على فراق الأحبة يبكي من غير أن يُعنى بوصف دموعه ،
 أمّا الغدو في وصف الدموع فيطبع العاطفة بطابع التكلف .

وإذا كان النسيب الجاهلي يتاز بالسذاجة ، والبساطة في التعبير ،
 والبعد عن التكلف ، فإن الشاعر جاوز المألوف في هذا الفن حتى وقع
 في التكلف والاحالة ، كما في قوله "بشيء صدع قلبه من أثر الفراق
 بصدع الزجاجة (١) :

"فَبَانَتْ" وفي الصدر "صدع" لها كصدع الزجاجة ما بليتشم
 وقوله في قدرة صاحبه على إحياء الميت (٢) :

لَو "أَسْتَدَّتْ" مِمَّنَّا إِلَى نَحْرِهَا عَائِشَ وَلَمْ "يُثْقَلْ" إِلَى قَسَائِرِ
 وهو من المبالغات المعقولة ، وقد أفكر القُدَامِي ما في البيت من
 غلو ، فقالوا : إن هذا "أكذب" بيت قالته العرب .

(١) الديوان ص ٢٨

(٢) الديوان ص ١٠٥

وقد استمدد الأعرشي صورته من يبتئين هما البيئة المربية البدوية
والبيئة المراقبة المتحضرة .

فأما البيئة الأولى فيظهر تأثيرها في الآيات التالية :

فهو يشبه المرأة بظبية تملو ثمر الكباش في قوله (١) :

ظبيته من ظباء وجرة آدماء تصف الكباش تحت الهدال
ويشبهها بالهرة الضامير في قوله (٢) :

عهدي بها في الحى قد سريلت هيفاء مثل الهرة الضامير
ويشبهها بالهامة في قوله (٣) :

فبات بحسنة براقة على أن في الطرف منها فتورا
مبتلة الخلق مثل الهامة لم تر شمساً ولا زمهريراً
ويشبه عينيها بعيني الرقيم ، وفيها بأقحوان (٤) :

مبتلة هيفاء رودة شبابها لها مقلنتارثم وأسود فاحيم
ونضحك عن غر الثنايا كأنه ذرى أقحوان نبته متفاعيم

فالشاعر استمد صورته من البيئة المربية البدوية .

وأما البيئة الثانية فيظهر تأثيرها في الآيات الآتية :

(١) الديوان ص ٥

(٢) الديوان ص ١٠٤

(٣) الديوان ص ٦٨

(٤) الديوان ص ٥٦

فهو يستمير "طعم" الحمر ليصور طيب ريقها (١) :

"نعاطي الضجيج إذا أقبلت" "بعيد الرقاد وعند الوسن"
"صليفة" طيبا طعمها لها زبد بين كوب ودن
ويشبه المرأة بين أترابها بدئية في محراب الراهب ، وبالبيضة المكنونة ،
وبالدرة (٢) :

وقد أراها وسط أترابها في الحمر ذي البهجة والسامر
كدئية صور محرابها بمذهب في مرمر مائر
أو بيضة في الدعس مكنونة أو درة شفت لدى تاجر
وهي صور ترد إلى بيثة الترف والنعم في الحيرة ، وفي غيرها من
بيئات العراق .

فالنزل من "مقومات شخصية الشاعر" ، فهو صاحب لذة يرى
المرأة وسيلة من وسائل اللهو ، ويمجد فيها جسدا "يروى ظمأه" ، "يظفي"
شهوته ، وهو "ينج" في تصوير لذته "نهج" امرئ القيس وغيره من
شعراء الإباحة .

ويبدو غزله على وصف المرأة وتصوير شعوره نحوها ، وينقسم
بالرقة والخنونة والخلاعة ، وهي صفات استمدتها من بيثة العراق ولا
سبا الحيرة .

(١) الديوان ص ١٥

(٢) الديوان ص ١٠٤

وقد يصور المرأة المُنعمَة الترفَة ، وَيَتَكَلَّف في التعبير عن
عاطفة الين حتى يقع في الاحالة .
فنزله مادي حسي يقوم على وصف جسد المرأة والتمتع منها .
٢ - خمره :

شرب الجاهليون الخمر ، وآلَمُوا بوصفها ، فوصفوا الخمر وأقداحها
وآنيتها ، وُعِنِي بِمَعْشَرِهَا كَالْأَعْنَى وَعَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ ، وحسان
ابن ثابت ، وَعَلَّقَمَةَ بْنَ عَبَّادَةَ .

ولم يكن وصف الخمر مقصوراً لذاته عند الشعراء ، وإنما تناولوها
في سياق عزلم ، فشبها رُضَاب صواحبه بالخمر ، أو وصفوها في
معرض الفخر .

والحق أن شرب الخمر كان عند الجاهليين مظهرًا من مظاهر
السيادة والكرم ، فالعربي إذا شرب أو طرب أشرك صاحبه في شربه
وطربه ، وتمدح بهذا وافتخر ، فطرفة بُغْرِى صاحبته بالشراب ،
فيقول (١) :

وَأِنْ تَبَغْنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْفَنِي وَإِنْ تَلْتَمِئْتِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَلِدِي
مَتْنِي تَأْتِينِي أَصْبَحْتُكَ كَأَسَارٍ وَبَيْتِي وَإِنْ كُنْتُ عَنْهَا غَانِيًا فَاعْنِي وَأَزْدِدِي
ويقول في وصف نداماء ، وفي وصف القينة المنية (٢) :

(١) فصح القصائد السبع الطوال الجاهليات . الأنباري . دار المعارف ١٩٦٣
ص ١٨٦ - ١٨٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٨ - ١٩٠

نَدَامَايَ يَيْضُ كَالشُّجُومِ وَقَيْنَةُ ۖ تَزُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَجُحُودٍ
رَحِيبٌ قَطَابُ الْجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةُ ۖ يَجَسُّ السَّدَامَى بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ
إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا أَنْبِرَتَ لَنَا عَلَى رِسْلِيهَا مَطْرُوفَةٌ لَمْ تَشُدِّدِ

فهو يشرب الخمر ، ويشرك الناس في شربها ، فيدعو نداماه إلى
تجليس شراب تفنيم فيه القينة ، فشرب الخمر ليس جافاً عنده ، وإنما
هو وسيلة إلى الاستمتاع بلذة أخرى هي سماع الغناء .

ويقول في إنفاقه المال على الشراب وإنكار قومه له (١) :

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَائِي وَيَسْمَعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُثَلَدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدَتْ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعْبَدِ
وَيَجْعَلُ الْخَمْرَ وَالنَّجْدَةَ وَالرَّاءَةَ لَذَائِي فِي الْحَيَاةِ (٢) :

قَلُّوا لَا ثَلَاثَ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي
فَمِنْهُنَّ سَبَقَ الْمَآذِلَاتِ شَرِبَةُ كَمِيتَ مَتَى مَا تَقُلْ بِالْمَاءِ زَيْدِ
وَكَرِيمِي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّبًا كَحَبِيدِ الْفَضَا فَبَهْتَهُ الْمُتَوَرِّدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالِدُجْنِ مُعْجَبُ يَسْتَكْنَفُ نَحْتِ الْخِيَاءِ الْمُعْمَدِ

فهو يفخر بشرب الخمر ، ويدعو إلى شربها ، ويضيف إلى نشوة
السكر نشوة الغناء ، ويتفق المال حتى تنكسر القبيلة ، ويجعل الخمر
إحدى لذات ثلاث يتعاطاها في حياته ، ولكنه لا يصف الخمر وأدواتها .

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . الأنباري . دار المعارف ١٩٦٣

ص ٩١

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٤ - ١٩٦

وعنزة يفتخر بشرب الخمر فيقول (١) :

ولقد شربت من المدامة بعدما
بزجاجة صفراء ذات أميرة
فاذا شربت فأنني مستهلك
وإذا صحوت فما أقصير من ندي
ركد المواجير بالشوف المعلم
قرنت بأزهر في الشمال مفدّم
مالي وعيرضي وافر لم يكتلم
وكمنا علمت شمائل وتكرمي

فهو يشرب الخمر عند ركود المواجير دلالة على نعمته ، ويشترى
الخمر بماله ، ثم يصف بعض أدوات الشراب من كأس وإبريق ، فالكأس
صفراء ذات طرائق وخطوط ، والإبريق من فضة أو من رصاص ،
وفيه مشدود بخيرفة ، وهو ينفق ماله في سكره كما ينفقه في صحوه ،
فكرمه طبع أسيل فيه ، وليس خلقاً متكلفاً ، وهو يفعل ما يفعل
حفاظاً على عرضه .

وليد يصور لهوه في السيل ، فيقول مفتخراً مخاطباً صاحبه (٢) :

بل أنت لا تدريين كم من ليلة
قد بت سامرها ، وغاية قاجر
أغلبني الميأء بكل أذ كن طابق
باكرت حاجتها الدجاج بمشخرة
وغداة ربيع قد كشفت وقررة
بصبوح صافية وجذب كريمة
طلق لذيذ لهوها وندامها
واقبت إذ رفعت وعز مدامها
أوجونة قد حنت وفض ختامها
لأهل منها حين هب نيامها
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
بموت شر قائله إنبامها

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . الأنباري . دار المعارف ١٩٦٣

س ٣٣٧ - ٣٣٩

(٢) الصدر نعه س ٥٧٤ - ٥٧٨

فهو يخاطب نواراً مفتخراً بلهوه وكرميه ، ويسوق الفخر ليلفت
نظرها إليه كما فعل عنترة في معلقته .

ولهوه يتحصير في شرب الخمر ، ومسامرة الندامى ، وسماع
الغناء ، فهو يقصد الخمار حين يرفع رابته ، ويغلي ثمن الخمر ، ويشربها
معتقة في زيق أغبر ، أو في خاية سوداء مفضوضة الختام ، وقد
يعل منها عند صباح الديكة ، ويقظة النوم ، ثم ينحرف إلى
وصف كرمه في يوم ربيع شديد البرد ، ثم يعود إلى وصف لهوه من
شرب الصبوح ، وسماع المغنية تضرب باهامها على الأوتار ، فشرب الخمر عنده
ليس جافاً ، وإعاء هو مصحوب بالغناء والشرب على الأوتار .

وعدي بن زيد يشرب الصبوح من يد قبنة فيقول (١) :

ثم تاروا إلى الصبوح فقامت	قبنة في يمينها إبريق
قد منه على عقار كعين الديب	كصفى سلافها الراوق
مرجة قبل مزجها فاذا ما	مزجت لذة طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقابض كاليا	قوت حمر يزيتها التصفيق

فهو يصيف صفاة الخمر ، وجودتها ، ويذكر بعض أدواتها من
إبريق وراوق ، ويصف طعمها قبل مزجها وبدء ، وحبابها الطائفي
عند تقلبها من إقاء إلى إقاء .

فالشراء وصفوا الخمر ، وبعض أدواتها من كأس وإبريق وراوق ،

(١) شعراء النصرانية قبل الاسلام . ص ٤٦٧

ووصفوا الدِّتَانِ التي "نَحْفَظُ" فيها ، والقيئة المنيّة ، ولكنهم لم يُدَقِّقُوا الوصف ، وكأوا يقصِّدون إلى الفخر والتمدّح بكرمهم وصفائهم ، وقد يكون الباعث على الفخر "تَعَزُّلُ" الشاعر بصاحبه .

والحق أن نعمة الخمر طغّت على فنون الذم الجاهلي ، فالشعراء كانوا يَتَفَنُّون بالخمر حين يَتَمَدَّحُون بِفُتُوْنَتِهِمْ وَمَظَاهِرِهَا من إنفاق المال ، وَتَعَاطِي اللذات ، وَفِرَاقِ الضيف ، وَنَجْدَةِ القيلة .

وامتاز الأعشى من شعراء الجاهلية بما أشاع من حياة في خمرياته ، وبما بث فيها من عاطفته الشخصية ، فقد عُتِنَ بالخمر ، ووصفها في أغلب قصائده حتى غدت أداة من أدوات فنه .

ولم يقل في الخمر وَحْدَهَا ، وإنما وصف كل ما يتصل بها ، وأتى في هذا بيمان جديدة وصور مبتكرة حتى تعدّه الرواة والنقاد شاعراً الخمر في الجاهلية .

وقد قامت شهرته في الخمر على أساسين ، أولها أنه انفرد بوصف الخمر من بين الشعراء الجاهليين ، وثانيها أنه تأثر فيمن جاء بعده من شعراء الخمر ، والرواة يرُدُّون معنى أبي نواس في قوله (١) :

دَعْ عَنْكَ لَوْ مَيَّ قَانَ الْأَثْوَمَ إِعْرَاءَ وَدَاوِي بَالَتِي كَانَتْ رِيَّ الدَّاءِ

(١) ديوان أبي نواس . تحقيق عبد المجيد الفرالي . دار الكتاب العربي .

إلى معنى الأعشى في قوله (١) :

وَكَاسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

ويؤيدون بهذا القول دَعْوَامَ ، وَمِنْ هُنَا نَشَأُ الرَّأْيُ الْقَائِلُ بِأَنَّ
الأعشى شاعرُ الحُرِّ في الجاهلية ، والأخطل شاعرُها في الإسلام ، وأبا
نواس شاعرُها في العصر العباسي .

واجتمعت الأعشى أسبابُ لتجويد هذا الفن ، فقد عاش في اليمامة ،
وهي قريبةٌ من المراق ، وَتَرَدَّدَ إلى الحيرة التي تأثرت بالحضارة المادية
الفارسية ، وقام فيها شعراء ، مِنْ مِثْلِ عَدْرِى بْنِ زَيْدٍ ، يُصَوِّرُونَ
مَا شَاعَ مِنْ فَنُونِ الْهَوَى ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْأَعْشَى إِلَى مَجَالِسِ الشَّرَابِ وَالْعَنَاءِ ،
فَشَرِبَ الْحُرَّ ، وَاسْتَمَعَ لِلْقِيَانِ وَتَوَقَّعَ الْعَنَاءَ عَلَى الصَّنَجِ وَالْعُسُودِ
وَالْمِزْهَرِ ، وَتَمَتَّعَ مِنَ الْحِيسَانِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَكْتَفِي بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ
يَتَزَوَّدُ مِنَ الْحُرِّ ، وَيَرْجِعُ إِلَى مَنْفُوحَةٍ ، وَمِنْهُ قِنَةٌ لِتُغْنِيَهُ فِي
مَجَالِسِهِ ، وَكَانَ الْفَتَيَانُ يَقْصِدُونَهُ ، فَيَطْعَمُونَ عَنْدهُ ، وَيَشْرَبُونَ ، وَيَسْمَعُونَ ،
وَقَدْ يَنْتَقِمُونَ كَأَنَّهُمْ فِي مَأْتِي عَصْرِي لَا فِي بَيْتٍ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (٢) :

هَقْدُ أَخْرِجُ الْكَاعِبَ الْمُشْتَرَاةَ مِنْ خَدْرِهَا وَأَشِيعُ الْقِمَارَاةَ

وربما كانت حياته الخاصةً أساساً لما رُوِيَ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارٍ ،
كَالْحَبَرِ الَّذِي يَصُورُ فَتَيَانٌ مَنْفُوحَةٌ يَتَنَادَمُونَ عِنْدَ قَبْرِهَ ، وَيَصُبُّونَ

(١) الديوان ص ١٢١

(٢) الديوان ص ٣٥

فَضَلَاتِ أَقْدَاحِهِمْ عَلَيْهِ ، أَوْ يَجْعَلُونَ قَبْرَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَذَا
صَارَ إِلَيْهِ الْقَدَحُ صَبُوهَ عَلَيْهِ .

وإِلَى ذَلِكَ تَحْتَلُّ الْأَعْشَى مِنْ قُبُودِ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ أَصْفَارِهِ ،
وَتَنْقُطُ مُتَكَسِّبًا بِشَعْرِهِ ، فَكُنْهُ هَذَا مِنَ التَّفَرُّغِ لِنَفْسِهِ وَلِذَاتِهَا .

وَقَدْ صَوَّرَ شَعْرُهُ حَيَاتَهُ تَصَوِيرًا سَادِقًا ، فَهُوَ يَشْرَبُ الرِّيحَ فِي
الْمَقَامِ وَالرُّحِيلِ ، وَفِي الْمَدَاةِ وَالْمَشِيِّ ، وَفِي اللَّيْلِ قَبْلَ صِيَاحِ الدِّيكِ ،
وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (١) :

فَقَدْ أَشْرَبَ الرِّيحَ قَدْ نَعْلَمُ نَ يَوْمَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ الظُّمَنِ
وَقَوْلِهِ (٢) :

لَنَا مِنْ ضَحَاها خَبَثٌ نَفْسٍ وَكَأَبَةٌ وَذِكْرَتِي مُهْمومٍ مَا تَغِيبُ أَدَاتُهَا
وَعِنْدَ الْمَشِيِّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ وَمَالٌ كَثِيرٌ عُدْوَةٌ نَشَوَاتُهَا
وَقَوْلِهِ (٣) :

فَقُمْنَا وَلَمَّا بَصِيحٌ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا
وَلَا يَكْتَفِي بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَتَذَوُّفِهَا ، وَإِنَّمَا يُشْرِكُ بَقِيَّةَ
حَوَاسِيهِ فِي التَّمَتُّعِ مِنْهَا ، فَيَصِفُ فَوْعَهَا ، وَلَوْنَهَا ، وَرَائِحَتَهَا ، وَطَعْمَهَا ،
وَأَثَرَهَا فِي الشَّارِبِينَ ، وَقَدْ بَذَرَ مَوَاضِعَ مُصْنَمِهَا ، وَأَمَكْنَ مُشْرِبِهَا ،
وَذَلِكَ لِإِيْرَؤِي نَفْسِهِ مِنْ جِهَةٍ ، وَبِرُضِي حَاسَتِهِ الْفَنِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ .

(١) الديوان ص ١٤

(٢) الديوان ص ٦١

(٣) الديوان ص ٥١

لقد وصف الشاعر لون الحمر ، فشبَّها بدم الذبيح (١) :

وَسَبِيَّةٍ مِمَّا تَعْتِقُ بَابِلَ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلْبَتُهَا جَرَّيَاتُهَا
فالحر مصنوعة معتقة في بابل ، وهي حراء كالدم .

وشبَّه الحر بنور الذبيح (٢) :

وَتَشْمُولِ تَحْسِبُ الْعَيْنُ إِذَا صَفِيَّتْ وَرَدَّتْهَا نَوْرُ الذَّبِيحِ
فالحر باردة بلون الورد ، وإذا صفيَّتْ كان لونها كلون زهر
الذبيح الأحمر الزاهي .

وشبَّه الحر بالزعفران والعندم (٣) :

وَكَأْسِ كَعِينِ الدِّيكِ بَاكَرَتْ حَدَّهَا بِفَتِيَانِ صَدَقِ وَالنَّوَاقِصِ تَضَرَّبُ
سلاف كان الزعفران وعندما يصفى في ناجودها ثم تقطَّب

فالحر صافية كعين الديك ، وهي من خالص الحر ، وإذا رؤيت
في إنثها ، ومزجت ، بدت كالزعفران الأصفر الملوَّط بصيغ
العندم الأحمر .

ويصف تبدل لون الحر (٤) :

(١) الديوان ص ٢٣

(٢) الديوان ص ١٦٢

(٣) الديوان ص ١٣٧

(٤) الديوان ص ٥٢

فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تَسَكَّنْنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا
كَمَيْتًا تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةِ إِذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إِرْعَادِهَا
فَجَالَ عَلَيْنَا بِبَرِيقِهِ تَخَضَّبُ كَفَّ بِفِرْعَادِهَا

فالحر قوية تَسَكَّنُ الشرب بعد سورتها في القدح ، وفيها سواد
يشجلي عن حمرة ، ولكن حمرتها قانية ، فهي تَخَضَّبُ كف الساقى
الذي يطوف عليهم بريقه ، وَتَشَاكِلُ الثوت في حمته .

وَيَفْتَنُّ فِي وَصْفِ صِفَاءِ الْحَرِّ ، فيقول (١) :

وَصَهْبَاءُ صَرْفٍ كَلْتُونَ الْفُصُوصَ سَرِيعٍ إِلَى الشَّرْبِ أَكْسَالُهَا
تَرْبِكُ الْقَدَى وَهِيَ مِنْ دُونِهِ إِذَا مَا تَصَفَّقُ جِرْيَالُهَا

فهي صخر صرف ، تبدو كحدق العين في صفائها ، وَتَسْرِعُ نشوتها
وَقَسْرَتُهَا إِلَى الشارين ، وَإِذَا صَفَّقَتْ فِي الْآيَةِ رَافَتْ حُمُرَتُهَا ،
فَشَفَّتْ عَمَّا فِيهَا مِنْ قَدَى .

وَبَصَفِ رَائِحَتِهَا بِقَوْلِهِ (٢) :

مِثْلَ ذَكْنِ الْمِسْكِ ذَاكَ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّافِي إِذَا قِيلَ تَفُوحُ
فَرِيحُهَا تَفُوحُ كَرَائِحَةُ الْمِسْكِ ، وَالسَّافِي بِصَبَّهَا مُسْرِعًا مُسْتَجِيبًا لِمُسْتَعْجَالِ
الشارين .

وَقَوْلِهِ (٣) :

(١) الديوان ص ١١٧

(٢) الديوان ص ١٦٢

(٣) الديوان ص ١٣٥

وَأَذْكَى عَانِقٍ جَعَلَ سَيْحِدٍ صَبَحْتُ بِرَاحِيهِ شَرْبًا كِيرَامَا
مِنَ الثَّلَاثِي حَمِلْتُ عَلَى الرَّوَايَا كَرَبِيعِ الْمَيْسِكِ تَسْتَلُّ الزُّكَا مَا

فهو يصبح الشراب من دَنٍ أسودَ ضخم عتيق ، والحمر
نقيسة "حملت" من مصانمها ، وفاحت رائحتها كالمسك ، فاستلّت الزُّكَا كام .
وقد أفاد الأخطل من هذا المعنى الأخير فقال (١) :

وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْأَكْفُ زُجَاجُهَا تَفَحَّتْ فَنَالَ رِيَاحُهَا الْمَرْزُومُ
فَحَمَرُ الْأَخْطَلِ تَنَالِ الْمَرْزُومُ ، وَخَرُّ الْأَعْشَى تَسْتَلُّ زُكَا مَا .
وَيَصِفُ طَعْمَهَا بِالْعَلِيبِ فِي قَوْلِهِ (٢) :

تَعَاطِي الضَّجِيعِ إِذَا أَقْبَلَتْ بُعِيدَ الرَّقَادِ وَعَيْنِدَ الْوَسَنِ
صَلِيفَةُ طَيِّا طَعْمُهَا لَهَا زَنْدٌ يَشْنُ كُوبٍ وَدَنُ
فيشبه رُضَابَ صَاحِبَتِهِ بِالْحَمْرِ ، وَيَصِفُ هَذِهِ بِأَنَّهَا مُعْتَقَّةٌ ، طَيَّةُ
الْمَذَاقِ ، "زَيْدٌ عِنْدَ أَخْذِهَا مِنَ الدَّانِ" وَصِيَّهَا فِي الْكُوبِ .
وَيَصِفُ طَعْمَهَا بِالْمَزَازَةِ فِي قَوْلِهِ (٣) :

تَارَعْتُهُمْ قَضْبَ الرُّيْحَانِ مُشْكِيًا وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوَوْقُهَا خَضِيلُ
ويكرر هذه الصفة في قوله (٤) :

تَمَزَّزْتُهَا فِي بَنِي قَايَا وَكُنْتُ عَلَى الْعِلْمِ مَخْتَارَهَا

(١) ديوان الأخطل . المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٨٩١ ص ٨٥

(٢) الديوان ص ١٥

(٣) الديوان ص ٤٥

(٤) الديوان ص ٢١٤

فهو يختارها اختياراً عليم ، ويتمررُها مع الشاربين .

ويعصور أثرها في الشاربين ، وما تولد من نشوة ، فيقول (١) :

قَقَامَ قَصَبٌ لَنَا قَهْوَةٌ تَكِينُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا

فَرُحْنَا تَنَعُّمُنَا نَشْوَةٌ تَجُورُ بِنَا بَعْدَ إِقْصَادِهَا

فالخمرُ تتحشى في مفاصل الشرِّب ، فيرتعدون ، ثم يستسلمون

لنشوتها ، فيسكنون ، وتستخيفهم هذه النشوة ، فيُجاوِزون ما كانوا

فيه من قصْد واعتدال .

ويعرضُ صوراً للشكاري في قوله (٢) :

فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَاوَى كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا مَدَّتْ إِنْصَاحَاتُ الرَّبِّعِ

بَيْنَ مَغْلُوبٍ كَرِيمٍ خَدَّةُ وَخَذُولِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحِ

فالشرِّب نشاوى متحدِّدون على الأرض ، كأنهم الحبال

المنصوبة للصيد ، وم بين مغلوبٍ على أمره قد صرَّعته الخمر ، وبين

مخذولِ الرجل كسيح ، وهي صورٌ تمثل الشكاري ثقيلاً واقمياً .

وقد يجميل وصفها في أبيات معدودات كما في قوله (٣) :

وَصَهْبَاءُ صَرَفٍ كَلَنُونِ الْقُصُوفِ صِ بَاكَرَتْ فِي الصَّبْعِ سَوَارَهَا

فَطُوراً تَمِيلُ بِنَا مُرَّةً وَطُوراً تَمَالِجُ إِمْرَارَهَا

تَكَادُ تَنْشِي وَلَمَّا نَذَقْ وَتَنْشِي الْمَفَاصِلَ إِفْتَارَهَا

(١) الديوان ص ٥٢ - ٥٣

(٢) الديوان ص ١٦٣

(٣) الديوان ص ٢١٤

تَدِيبُهَا قَثَرَةٌ فِي الْمِظْلَامِ وَتَنْشِيِي الذُّوَابِ فِي قَفَّارِهَا
تَمَرُّزُهَا فِي بَيْتِي قَائِيَا وَكُنْتُ عَلَى الْمِلْمِ مُخْتَارَهَا

فالخر صافية صفاء حديق العين ، ولها سورة ، وهي مرّة ،
وهم يشربونها فتغليهم ، ثم يعالجون مرارتها ، فيمزجونها بالماء ، ورائحتها
تسكير قبل مذاقها ، ويفشي الفاصيل منها لين وفشور ، وهي تدب
في المظالم فتخديرها ، وتبلغ الرأس فيدور ، وقد تمرزها الشاعر
مع صحبه ، واختارها اختياراً عاير بها .

فالشاعر وصف لون الخمر ونوعها ، وطعمها ، وميزاجها ،
ورائحتها ، وصور أثرها في الشرب .

وقد ابتدع في خرياته أسلوباً فصيحاً جرى عليه التأخرون ،
ومثاله قوله (١) :

فَقُمْنَا وَلَمَّا بَصِيحٌ دَبْكُنَا	إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا
تَخَلَّلَهَا مِنْ بَكَارِ الْقِطَافِ	أَزْبُرُقُ آمِنِ إِكْسَادِهَا
فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِيهَا	بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا
فَقَالَ تَرِيدُونَنِي نَيْمَةً	وَلَيْسَتْ بِعَدَلٍ لِأَنْشَادِهَا
فَقُلْتُ لِمَنْصَفِينَا أَعْطِيهِ	فَلَمَّا رَأَى حَضَرَ شَهَادِهَا
أَضَاءَ مِظْلَتِنَا بِالْبَرَا	جِ وَالْأَيْلُ غَامِرُ جَدَادِهَا
دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ	فَلَا تَحِيحُنَا بِتَفَادِهَا

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النوفجية ص ٦٩ - ٧١

فهو يقص خبر تسحبه في السحر حين طرقوا الخمار بفنون
الشراب ، والخمار أزرق المبين ، وقد تحفظ الخمر في خاية سوداء
مطليقة بالقار ، وتخبئها من باكورة العنب المصور ، وأمين
كسادهما ليجودتها ، وينظر إليها الأعشى ، فيؤثرها على غيرها ،
ويشترها بناقية بيضاء في جبل عبد بقودها ، ويغلي الخمار ثمن الخمر
حين أحس حرص الصاحب عليها ، ويطلبهم بنسمة دراهم زيادة
على الناقية ، فيسأل الأعشى عبد أن يطبخ الخمار ما يريد ، ولما رأى
الخمار الخادم يخرج المال ، أشعل السراج ، فأضاء الخيمة وهدأ بها
التي غمرها الظلام ، ثم أخذ ينقذ الدرام ، فصاح به الأعشى متمجلاً
صب الخمر ، وعندئذ قام فصب الخمر ، وهنا يتقبل الأعشى إلى وصفها .

فالشاعر وصف الخمار ، فصور زُرقة عينيه ، وحرصه على
خمره ، ومساومته على ثمنها ، وتقده للدرام ، كما صور خيمنتيه
وهدأ بها ، وميراجه الذي أبدد الظلام .

ووصف الخاية التي حفيظت فيها الخمر ، فهي سوداء ضخمة
مطليقة بالقار ، وصور أدوات الشراب من إبريق وكأس ، ووصف
الخمر بأنها عصيرت من يكار القيطاف .

وصور سخاءه بالمال لشراء الخمر ، فقد دفع ناقته ، وزاد عليها
نيسة دراهم ثمناً للخمر . وصور إقبال الصاحب عليها ، فكانهم يشتحبونها
من درهم .

فالقصة وقعت في زمان ومكان ، وأشخاصها هم الخمار ، والشاعر ،

وَصَحْبُهُ ، وَخَادِمُ النّاقَةِ ، وَإِذَا كَانَتْ زُرْقَةٌ عَيْنِ الْحَارِ ، وَتَقْدَمُ
لِلدَّرَامِ ، وَخَرُّهُ ، تَوْحِي بِجَوِّ أَعْجَمِي ، فَإِنَّ الْخَيْمَةَ وَالنّاقَةَ وَالشّاعِرَ
وَصَحْبَهُ وَخَادِمَهُ "تَوْحِي بِجَوِّ عَرَبِي بِدَوِي .

وَأَجَادُ الْأَعْمَى وَصَفَ بِمَجَالِسِ الشَّرَابِ ، وَتَفَوَّقَ فِي هَذَا الْمَجَالِ
عَلَى الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ ، فَقَالَ (١) :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوِرٌ مِثْلُ شَاوِلٍ شُلُشْلُ شَوْلٍ
فِي فِتْنَةٍ كَسَيُوفِ الْهَيْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحَيْلُ
فَارْعَثْتُهُمْ قَضَبَ الرِّيحَانِ مُتَكِينًا وَقَهْوَةً مُرَّةً رَاوَوْقَهَا خَضِيلُ
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهْنِي رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ وَإِنْ عَلَوْا وَإِنْ نَهَلُوا
يَسْمَعُنِي بِهَا ذُوزُجَاتُ لَهٍ نَطْفُ مَقْلِصٌ أَسْفَلَ الْبِرِّ بِأَلِ مُعْتَمِلُ
وَمُسْتَجِيبٌ تَحَالَ الصَّنَجُ بِسَمْعِهِ إِذَا تَرَجَّعَ فِيهِ الْقَبِيئَةُ الْفَضْلُ
مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ وَفِي النَّشْجَارِ بِطُولِ الدُّهُورِ وَالْفَزَلُ
وَالسَّاحِيَّاتُ ذُبُولُ الْخَزْرِ آوِنَةٌ وَالرَّافِلَاتُ عَلَى أَعْجَازِهَا الْعِجَلُ

فَالْمَجْلِسُ يُعْقَدُ فِي الْحَانُوتِ ، وَيَقْدُ عَلَيْهِ الشّاعِرُ فِي الْغَدَاةِ ، وَمَعَهُ
غُلَامٌ خَفِيفٌ لَشِيطٌ ، وَفَتْنَةٌ أَشَدُّاءُ عَلَى الدَّهْرِ ، قَدْ أَحَسُّوا أَنَّ
الْمَوْتَ مُدْرِكُهُمْ ، فَهُمْ يَنْتَرِعُونَ مِنْهُ الْمُسْعَ انْتِزَاعًا ، وَيَجْلِسُونَ مُتَكَنِينَ
عَلَى الْأَرَائِكِ ، مُتَجَاذِبِينَ قَضَبَ الرِّيحَانِ ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمُ السَّاقِي بِالْخَمْرِ ،
مُقَرَّطًا الْأَذْنَ بِلَوْلُؤَةٍ ، مُشَمِّرًا أَسْفَلَ قَبِيصِهِ ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنَامُونَ
مِنْ أَثَرِ الشُّكْرِ ، ثُمَّ يَصْحَوْنَ ، وَيَعَاوِدُونَ الشَّرَابَ ، وَيَسْتَمِعُونَ

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٥٩

فَمَا بَيْنَ ذَلِكَ لِلْعُودِ نُوقِشَ عَلَيْهِ الْقَيْئَةُ الْغَنَاءُ ، وَبِجَاوِبِ الْعُودِ رَنِينَ
الصَّنَجِ بِنَغْمِهِ ، وَبِمَوْجِ التَّجْلِيسِ بِنَسَاءِ ضِيخَامِ يَجْرُرُونَ ذُيُولَ الْحَرِّ ،
وَيَتَبَخْتَرُونَ فِي مَشْيَتِهِنَّ ، وَكَأَنَّ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ قَرَبًا امْتَلَأَتْ مَاءً ،
فَارْتَجَّتْ بِمَا فِيهَا .

فَالْغِنَاءُ مُصَاحِبٌ لِلشَّرَابِ ، وَآلَاتُ الْعَرَبِ مُصَاحِبُ الْغِنَاءِ ،
وَالْعُودُ وَالصَّنَجُ يَتَجَاوَبَانِ ، وَجَوْقَةُ الْغَنَاءِ تَتَحَرَّكُ عَلَى رَنَةِ الْعُودِ وَالصَّنَجِ ،
وَالتَّجْلِيسُ مُزَيَّنٌ بِالرِّيحَانِ ، وَالْحَرُّ مُرَّةٌ ، تُنَعِّفُنِي فِي رَأْوُوقِ ،
وَالسَّاقِي مُقَرَّطُ الْأَذْنِ ، يَسْقِي الْحَرَّ بِزَجَاجَاتِ مِصْنَةِ ، وَالشَّرْبُ
مُسْكَرَى لَا يَصْحَوْنَ مِنْ سَكْرَتِهِمْ حَتَّى يُعَاوِدُوا الشَّرْبَ .

فَالشَّاعِرُ لَا يَبْضِينُ عَلَى الْحَرِّ بِمَالِهِ فِي مُخْتَلِفِ أَحْوَالِهِ ، وَيَشْتَرِيهَا
مِمَّا غَالَتْ الْحُمَارُ فِي ثَمَنِهَا ، وَيَشْرِبُهَا لَيْلًا فِي رِجَاءِ كَبِيرٍ عَلَى ضَوْءِ السَّرَاجِ ،
أَوْ فِي مَجْلَسِ بَحَانُوتٍ تَنَازَلَتْ فِيهِ الرِّيحَانُ ، وَابْتَدَتْ الشُّقَاةُ بِأَزْيَانِهِمُ الْخَاصَّةُ ،
وَصَدَحَتْ الْقَيْئَةُ مُرَجِّعَةً صَوْتَهَا عَلَى الْعُودِ ، وَقَامَتْ بَنَاتُ الْحَانِ فِي
ثِيَابِهِنَّ الطَّوِيلَةِ . وَقَدْ يَشْرِبُهَا مَعَ صَحْبِهِ فِي الرَّيْفِ ، فَيُنْيِيخُونَ بِأَبْلِهِمْ
عِنْدَ غَدِيرٍ ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِمُ السَّاقِي الْحَرَّ فِي زِقٍّ ، أَوْ يَشْرِبُهَا فِي الْأَدْبِيرَةِ ،
أَوْ يَشْرِبُهَا عِنْدَ خَمَارِ يَهُودِيٍّ مِنْ آتِيَةِ مَخْتُومَةٍ .

وَقَدْ آثَرَ الْأَعَشَى فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ شُعْرَاءِ الْحَرِّ ، فَوَصَفَ
الْأَخْطَلَ قَدَمَ الْحَرِّ ، وَالْدِّبَّانَ الَّتِي "نَحْفِظُ" فِيهَا ، وَآثَرَهَا فِي الشَّارِبِينَ ،
وَسَوَّرَ السَّكَرَانَ كَمَا فِي قَوْلِهِ (١) :

(١) دِيْوَانُ الْأَخْطَلَ ، ص ٢ - ٣ - ٤

صَرِيحٌ 'مَدَامَ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ'
 'نَهَادِيهِ أَحْيَانًا وَحِينًا نَجْرُهُ'
 إِذَا رَفَعُوا عِظْمًا تَحَامَلَ صَدْرُهُ'
 أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتِ كَانَتْهَا
 تَمْرٌ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيعًا وَبَارِحًا
 وَتَوَقَّفُ أَحْيَانًا فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا
 تَدِيبٌ دَيِّبًا فِي الْعِظَامِ كَانَتْهُ
 لِيَحْيَا وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمَقْصِلُ
 وَمَا كَادَ إِلَّا بِالْحُشَاشَةِ يَسْقِلُ
 وَآخِرُ نَمَّا قَالَ مِنْهَا 'مُخْبِلُ'
 رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّ بَلُّوْا
 وَتَوَضَّعُ بِاللَّهْمِ حَيٌّ وَتَنْزِلُ
 غِنَاءُ 'مَعْنٍ أَوْ شَوَاءُ' 'مَرَعِبِلُ'
 دَيِّبٌ عَالٍ فِي تَقَا يَتَهَيَّئِلُ

فالأخطل وصف السكران ، وأثر الخمر فيه ، وشبه الدقائق
 برجال من السودان ، ثم صور الخمر 'تؤخذ بالشمال واليمين ، والمجلس
 وما فيه من' غناء 'يسمعه ، وشيواء 'بؤ' كذل ، ثم عاد إلى وصف أثر
 الخمر ، فشبه بدبيب النمل على كتيب من رمال ينال .

غير أن الأخطل قصر عن الأعشى في وصف الخمر ، وهنا
 'تَسَاءَلُ : كَيْفَ قَصَرَ الْأَخْطَلُ عَنْ بُلُوغِ شَأْنِ الْأَعْشَى ، وَقَدْ جَاءَ
 بَعْدَهُ ، وَسَمِعَ مَا قَالَهُ ، وَتَحَكَّلَ مِنْ قِيُودِ الدِّينِ وَالْاجْتِمَاعِ لِنَصْرَانِيَّتِهِ
 وَتَعَصُّيهِ لِلْأُمَوِيِّينَ . وَتَنَحَّيْتُ لَهُ الْقُرْصَ لِلْقَوْلِ وَالْإِجَادَةِ فِيهِ ؟

والجواب عن السؤال يحتاج إلى درس 'خمرينات الوليد بن يزيد
 والتخليع وأبي نوار ، ومعرفة أثر العصبية اقلية في انتحال الشعر ،
 فهذا المدرس 'يجعلنا تتبين ما عسى أن' يقوله الأعشى بالقياس إلى
 عصره ، وعندئذ يمكننا أن نعرف ما له وما لغيره ، وأن نميز 'منحول'
 شعره من صحيحه .

فأبو نواس مثلاً أبدع في وصف الكئوس أيها إبداع في قوله (١) :

تَدَارُ عَلَيْنَا الرِّاحُ فِي عَسَجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتُهَا كَيْسَرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهْمَا تَدَّرَّ بِهَا بِالْقَيْيِ الْفَوَارِسُ
قَلِيلُ خَمْرٍ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلَمَاءٌ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَائِسُ

فالكئوس من صنعة فارس ، وهي ذهبية مزينة بأنواع الصور ،
ففي قمرها صورة كسرى ، وفي أطرافها فرسان يصيدون المها
بقيسيهم ونبالهم ، والجر تصب في الكئوس حتى تبلغ جيوب
الفرسان ، وتزج بالماء حتى يبلغ قلائسهم ، فالجر ومزاجها
يقدر معلوم .

ووصف أبو نواس لون الجر ، ورقتها ، ولطافتها في قوله (٢) :

دَمْعٌ عَنْكَ لَوْنِي فَإِنَّ الْأَثْوَمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِأَلَّتِي كَانَتْ رِيحُ الدَّاءِ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ مَرَاءُ
قَامَتْ بِإِرْيَقِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي الْبَيْتِ لَأَلَاءُ
فَأَرْسَلَتْ مِنْ قَمْرِ الْأَبْرِيقِ صَافِيَةً كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْمِيزِ إِعْفَاءُ
رَفَقْتُ عَنْ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُلَاثِمُهَا لَطَافَةٌ وَجَفَاءٌ عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ
فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نَوْرًا لَمَازَجَهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارُ وَأَضْوَاءُ

فالجر داء ودواء ، وهي صفراء تنثر النفس ، وتغير ما بالجماد ،

(١) ديوان أبي نواس ص ٣٧

(٢) ديوان أبي نواس ص ٦

والساقية مُشرقة الوجه ، نُضيء البيت ، وتصب خمرأ صافية من
الابريق ، والخمر أرق من الماء والُطف ، فيها لا يتهازجان ، وإنما
يمارِجها النور ، فتولد أنوار وأضواء جديدة .

والرواة يرُدُّون البيت الأول إلى قول الأعشى (١) :

وَكَأَسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

ويتبين لنا ، من دراسة بيت أبي نواس في ضوء ما ابتكر من
معانٍ في الخمر ، أن البيت يحمل طابعه ، فيينا الأعشى يُقيِّد معناه
بكأسين : كأسٍ يشربها طلباً للذة ، وكأسٍ يتداوى منها بها ، إذا
أبو نوار يُطلق معناه ، فلا يُقيِّده بشيء ، فكأنما هو مُحكم عام بصور
طبيعة الخمر ، فهي داء ودواء .

فمعنى الأعشى ضيق محدود ، ومعنى أبي نواس واسع شامل .

وإذا سلمنا بأن المعنى للأعشى ، فكيف نصديق أن يُمِرَّ به
شاعر كالأخطل من غير أن يُمنى به ، ويُصوره ، كما صورِ قديم
الخمر والديقان والسكران ؟ ولم احتذى الأخطل الأعشى في وصف صفاء
الخمر وريحها ، ولم يُقلِّده في تعمق ذلك المعنى ؟

وأعلب الظن أن الرواة ظلموا معنى أبي نواس ، ونسبوه إلى
الأعشى ليُخفِّعوا من علوِّاء الشعراء المُحدثين الذين أخذوا بالجديد ،
وحسبوا أنهم سبقوا الأقدمين فيما ابتدعوا من معانٍ وصور ، وليُفهمهم

(١) الديوان ص ١٢١

أنهم "ينقلون عن القديم ، ويقتبسون منه على الرغم من تقدم مصر ،
وانتساح آفاق الثقافة .

ودونك مثالا آخر على عبث الرواة بالشعر ، فأبو نواس يقول (١) :
استقيني حتى تراني أحبب الديبك حمارا
وهي صورة فكاهية تمثل السكران وقد تأثر عصبه البصري
فندت الشخصوس ضخاما أمام فاطمه ، وقد سرق الرواة هذه الصورة
ونسبوها إلى الأعشى في قوله (٢) :

شربت الراح بالفلنتين حتى حبيت دجاجة مرّت حمارا

والبيت مما نسب إلى الأعشى من شعر لم يرد في ديوانه ،
وهو بصور لونا من عبث الرواة ، فهؤلاء ضاقوا بمزاعم الشعراء
المحدثين في العصر العباسي ، فظلموا معانيهم ، ونسبوها إلى القدماء
ليثبتوا أنهم يأخذون عنهم ، وأن معانيهم أولوية في شعر القدماء .

وهكذا نستطيع أن نخفي في تحديد موضوعات الخمر عند أبي
نواس ، وتبين المعاني التي ابتكرها هو أو غيره ، لتمييزها من
موضوعات الأعشى ومعانيه ، ولتصل بهد ذلك إلى تصور ما يمكن
أن يقوله الأعشى بالنسبة إلى عصره ، وبذا يمكننا تحديد المجال الذي
اضطرب فيه ، وتبين موضوعاته ومعانيه التي أثرت فيمن جاء بعده
من شعراء الخمر .

(١) ديوان أبي نواس : ص ٢٠٤

(٢) الديوان ص ٢٤١

ومها يكن الأمر فأننا لا نبتخس الأعشى شمره حين "نجبرده
من بعض المعاني ، فهو قد أحب الخمر ، وأدمنها ، ووصفها ، وصور
بجاليستها وأفيتها وأدواتها ، وتغنى بهذا كله ، فأعجب ، وأطرب .
وتتساءل أخيراً : أكان الأعشى مجيداً في وصف الخمر هذه
الاجادة التي صورها الرواة ؟

أعجب الظن أنه أجاد وصف الخمر بالقياس إلى الجاهليين ،
وفاهم في هذا الباب ، ثم جاء الرواة فاستغلوا إجادته ، ووضعوا عليه
شمرأً أضافوه إليه . ورُبُّها كان من الصعب على المؤرخ أن يعرف ما
الأعشى من خمرات وما ليس له ، ولعل الدرس المفصل لخمرات الوليد
ابن يزيد والخليع وأبي نواس أن يُعين على تبين فن الخمر في العصر
الجاهلي ، وعلى تطور هذا الفن فيما تلاه من عصور (١) .

٣ - مدحه :

كانت طبيعة الحياة في الجاهلية تدعو إلى التَّحلي بالشماعة
والكرم والسماحة والبذل ، فكان الشاعر يتغنى بها ، ويرفمها مثلاً أعلى
للسيد العربي ، وفلماً حلت قصيدة من وصف المدوح بهاتيك الصفات ،
وتشبيهه بالأسد والسيف والفيث والبحر .

وكان الشاعر يرمي إلى التعبير عن حبه للمدوح وإجلاله له ،
ويسلك إلى مدحه سبيلين ، فيميز أولاً بين الصفات التي نلائم المثل

(١) محاضرات الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي

الأعلى ، ثم يختار الألفاظ والصور التي "تؤدِّي معانيه ، وتظهر المدوح في أقوى مظهر ، وتجعل السامعين "بشاركونه في إكباره له .

وكان المدح "يتوخَّى الصدق والابحاز ، ولعل قول زهير في
هرم بن سنان (١) :

"من يلق يوماً على عيائه هرماً يلق السحابة منته والندى خلقة
يصلح أن يكون مثلاً لوصف المدوح في قصيد واعتدال .

وكان الأعشى "أول من سأل بشعره ، واتَّجع به أقاصي البلاد ،
فقد قصد الأمراء والأشراف والملوك طمعاً في المال ، فمدحهم ، وأسرف ،
وسبقه النابغة وزهير إلى التكسب بالشعر ، فالتابغة "تردد إلى المناذرة
والفسانة فمدحهم ، وأخذ "موأهبهم ، وزهير مدح هرم بن سنان ،
ونال عطاءه .

وقد ذكر الرواة أن "تكتسب النابغة بشعره قال منه ، وحط
من قدره ، ولكنه ظل رفيع المكانة في قومه ، وكذلك زهير ،
فتكسبه بالشعر لم يند منه شيئاً كما يحدثنا الرواة ، والأعشى كان
مخوفاً مهيماً ، فأبو سفيان فرغ حين "أحس" بقدومه على الرسول في مكة ،
فاحتال في صدّه عنه ، وأغراه بجائزة فاقصة جمعها من أشراف قريش ،
والمحلّق أضافه ، وأهدى إليه فاقة أيه وزيقاً من الخمر ، فمدحه ، وكان

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة

مدحه له سبباً لتزويج بناته أو أخواته ، وهذا يدل على أن تكسبه ،
بالشعر لم يفض منه ، بل كان مدحه يرفع المدوح ، ويعلّي قدره (١) .

ولم يخف الأعتى طمعه في عطاء المدوح ، بل صرّح به ،
وسعى إلى نيله كما في قوله يمدح قيس بن معد بكرب (٢) :

فَهَذَا الثَّنَاءُ وَإِنِّي امْرُؤٌ إِلَيْكَ بِمَعْدٍ قَطَعْتُ الْقَرْنَ
فَجِئْتُكَ مَرَّةً مَا خَبَّرُوا وَلَوْلَا الَّذِي خَبَّرُوا لَمْ تَزَنْ
فَلَا تَحْزِمْنِي نَدَاكَ الْجَزِيلُ فَانْتَبِ امْرُؤُ قَبْلَكُمْ لَمْ تُهَنْ
فالشاعر قصد بمدوحه بمدح جماعه بكرمه ، ولولا هذا لم يره .

ولا شك في أن رغبة الشاعر في المال دعت به إلى الاكثار من
المدح ، والاسراف فيه ، وتعدد مواهب المدوح ، وقد التزم هذه
الخطوة في مدحه ، فانطبع بطابع واحد ، وكانت نعمته راتبة .

وكثر مدحوه ، فكانوا من أشرف المَرَب في نجد ، وأطراف
اليمن ، والحجاز ، والحيرة ، وبادية الشام ، ولكن الرواة تَزَبَّدوا على
الشاعر ، فزعموا أنه أتى عمان ، وحمص ، وأوريشم ، والنجاشي ،
وأرض النبط ، وأرض المعجم ، وأنه وصل إلى كيشري ، فمدحه ،
وقال عطاءه .

وقد انصرف بمدحه إلى اليمنيين ، فمدح منهم سلامة ذا فائس ،

(١) في الأدب الجاهلي . ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) الديوان ص ٢٢

وأهل نجران ، وقيس بن معد يكرب ، والأشعث بن قيس الكندي ،
والأسود المني ، والأسود بن المنذر أخ النعمان ، ومدح من ربيعة
هوذة بن علي ، ومن مضر عامر بن الطغفيل ، وثلقمة بن علاثة
حين وقع في يده بعد هجائه له ، ثم الرسول (١) .

ويرى الدكتور طه حسين أن الكثرة من شعر الأعشى 'صنعت'
في الإسلام في الكوفة ، وكانت مظهراً لاتحاد بين ربيعة
ومضر ، وأن الرواة استغلوا تطواف الأعشى في البلاد ، فأنطقوه بمدح
الأشراف من حمير وكندة من قبائل اليمن ، ويمدح الأشراف من
ربيعة 'مناهضة' لمضر التي كانت فيها النبوة والخلافة (٢) .

ومها يكن أمر مدحيه الذي دخله الامتثال ، فنحن مضطرون
إلى درسه لأنه يشغل القيس الأكبر من ديوانه من جهة ، ولأنه
يمثل طريقته الفنية من جهة أخرى ، ولا شك في أن 'من' وضع على
الأعشى مدائحه قد تمثل روحه ، واحتذى طريقته في النظم .

وبدور مدحه على معانٍ مكرورة ، فالمدوح 'وافير المطاء ،
جزيل الهيات ، واسع الصدر ، شديد البأس أخو حرب ، يطفئ
على الضمء ، ويحمي الجار ، ويتحمل الثيمات' .

وهو 'بليح' على صفة الكرم ، فيصور مظاهر كرم المدوح ،
ويشبهه بالفرات .

(١) في الأدب الجاهلي ص ٢٥٧

(٢) في الأدب الجاهلي ص ٢٥٧ - ٢٥٨

وأسلوبه في المدح واسع مفصل يزيد على معانيه ، ويقوم على الألفاظ الضخمة وتكرارها ، وهو يستمد على ألفاظه أكثر مما يستمد على صورته ، ولذا زاه بحشد الألفاظ حشداً ليبلغ ما يريد من تصوير بمدوحه .

فقد مدح الأسود بن المُنذر بقصيدة مطلعها (١) :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي فهل زرد سؤالي
فبدأها بالوقوف على الأطلال ، والتعبير عن عاطفة البين ، ثم انتقل إلى وصف فاقته ، ثم تختص إلى المدح بقوله (٢) :

لا تشكني إلي وانتهجيمي الأسد	ود أهل الندى وأهل الفيصال
فرع نبع يهتر في غصن المجذ	د عزير الندى شديد الميصال
عنده الحزم والتقى وأما العسر	ع وحمل الضلع الأثقال
وصلات الأرحام قد علم النسا	ر وفك الأسرى من الأغلال
وهوان النفس العزيزة للذك	ر إذا ما التفت سدور الموال
وعطاء إذا سألت إذا العيذ	رّة كانت عطية البخصال
وفاء إذا أجرت فما غرت	م حبال وصلتها بميصال
يهب الجيلة الجواجير كالشمس	نان نحنو لدودق أطفال
والبنات يركضن أكسية الأض	م ريج والشرعبي ذ الأديال
وجياداً كأنها قضب الشس	حط تعدو بشيكة الأبطال
والمسكاكيك والصحاف من الفيضة	م والضامرات تحت الرجال

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٣

(٢) المصدر نفسه ص ٧ - ٩

فهو يسأل ناقة أن لا تشكوا إليه ما أصابها من كلال ، وأن
تقصيد المدوح رجل الندى والفتح ، وهنا يرضى في مدحه ، فيصفه
بالمجد والكرم والشجاعة ، ويصور مظاهر هذه الصفات ، كما يمدحه بالحزم
والعزم والمضاء والتهابة والجلال ، وهي صفات يمدح بها الملوك
الذين يحسنون تدبير أمور دولتهم وسياسة رعييتهم .

فالممدوح إنسان ماجد ، وافر المطاء ، ومواهبه كثيرة من إبل
كالنخل ، وإماء تر كض في أكسية من خز ، وتجرير الأذيال ،
ويجادر تدو كقصب الشوحط الصليب المستقيم ، وتدو حاملة عدة
الفرسان ، وكثوس وآنية من فضة ، وجمال كريمة تسكن ، فلا
ترغي ، ولا تجتر إذا ركيث .

ونلك المطايا تذكرنا عطايا النمان التي صورها النابغة في
قوله (١) :

الواهب الميائة الميكناء زبئنا	سمندان توضع في أوبارها القيد
والأدوم قد خيست فئلا مرافقها	مشدودة برحال الحيرة الجدد
والراكيضات ذيول الربط فانقها	برد المتواجير كافيز لان بالجراد
والخيل تمزح غربا في أعينها	كالطير تنجو من الشؤ بوب ذي البرد

وهذا التشابه في أنواع المطايا يدعو إلى الشك في ممدوح
الأعشى للأسود بن النذير .

(١) المختار من الشعر الجاهلي ص ١٥٢

وكما صور مظاهر كرم المدوح ، صور مظاهر شجاعته ، فهو
يبدل نفسه في الحرب في سبيل المجد ، وحسن الذكر ، بل هو
خير من كثيرين ، وهو بعيد العدة لقتال ، فلا تنزل على حكم
الجهال ، وجنده من السادات ، وهؤلاء فرسان ماهرة لا يجهلون ،
ولا يعترهم القزع في الحرب ، وعليهم دروع من تسليح داود ،
قد ذهبت بالزيت حفظاً لها من الصدأ ، وحملت على الجبال ، وقد
أعد الأسود هذه العدة للمدح لا للصدق .

ويقص خبره مع الرباب ، التي نبذت طاعته ، وبصيف الكنية
التي أرسلها لحربها ، فهي تحمي الشجعير ، وتميدها قطع الخيل ،
فتذهل الشيع عن بنيه ، وتشرد الابل التي اعتزل بها راعها في
أطراف الرمال ، ثم يصور طاعة الرباب بعد عصيانها ، وما ذاق من
عذاب (١) .

ويقص خبره مع دودان ، وذيان ، فيصور حربته لهم ،
وما سفك من دماهم ، وسبي من نسايمهم ، وأسير من شيوخهم ،
وغنيم من أموالهم ، وهكذا غني جنوده بعد فقر (٢) .

ويعده بمديد من الصفات التي يتحلى بها الملوك في تعريف شئون
الرعية والدولة ، فهو يجمع بين الحزم ، والحذر ، ويتحمل الشيعات ،

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النوفجية ص ١١ - ١٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٣

وُيعاقب التكبر ، ويمتاز بالأرْثِيَّة ، ويقوم حَكَمًا بينَ الناس ،
فَيُثِيبُ الطَّيِّعَ ، وُيعاقب العاصي .

ويعدحه أخيراً بصفات شخصية ، فهو يَصِلُ الأرحام ، ويحفظ
الوُدَّ ، ويُنجِدُ المستجير .

وهكذا وصف الأعشى المدوحه بالشجاعة والكرم والخزم والعزم
وَنَحْمَلِ الثِّبَاتِ ، وُجَازَاةَ الطَّيِّعِ وَالْعَاصِي ، ولكنه عني بمظاهر
الشجاعة والكرم ، وصورها تصويراً مفصلاً .

وإذا كان العربي يحبُّ من طبع وإِثَارَ ، فإن الملك يحبُّ من
استيكفاء ، ويُعطي ما يزيد على حاجته ، ولذا يمدح الشاعر في الأول
كَرَمَ الطَّيِّعِ ، وفي الثاني مَظَاهِيرَ الكرم .

كذلك لا يمدح الملك بما يمدح به الفرد من شجاعة ، وإنما يصور
الشاعر عَظَمَةَ ملكه ، وَسَعَةَ سلطانه ، ومهارته في تدبير شئون
الدولة ، وُعْدَةَ جيشه ، وُعْدَدَهُ ، ووقائمه ، وعنايته .

ولا شك في أن مُنْتَحِلَ هذه القصيدة تأثر في وصف كرم
المدوح بما قيل في الساذرة ، وقد وجدنا تشابهاً بين الأعشى والنابغة
في وصف المطايا ، كذلك تأثر المُنْتَحِلُ في وصف كنية المدوح ،
بما كان يُجَهِّزُ من جيوش في المراق إبانَ العصرِ الأموي لاختصاص
الثَّارِخِ على الحكومة ، ولتأبئة الفُتُوحِ شَرْقِيَّ المراق .

ومع أن الأعشى فصل مدحه للأسود بن الندر ، وصور عطايا ،

فانه أغفل صورة الفرات التي أفاد منها النابغة في مدحه لأخيه النعمان ،
وقد كان نهر الفرات ظاهراً لصين الأعشى ، مصوراً في شعر النابغة .

ويزداد الأمر غرابة حين تقع على صورة الفرات في مدح الأعشى
لقيس بن سعد يكرب الكندي ، وقد كانت قصائده في مدحه أطول
قصائده ، وأمتتها ، وأكثرها تصرفاً في فنون القول .

وقد ابتداء قصيدته الميمية في مدح قيس ذاك بالفرل ، ثم انتقل
إلى وصف الشراب والاهو ، ثم تخلّص إلى المدح ، وأخيراً صور
بعض أسفاره .

ويهمنا من ذلك الوقوف على صورة الفرات في قوله (١) :

وما مزيد من خليج الفراء	ت جون غواربه تلتطم
يكب الخليقة ذات القبالا	ع قد كاد جوجوها بشحط
نكنا كئ ملاحها وسطها	من الخوف كوثلها يلتزم
بأجود منه بما عتده	إذا ما سماءهم لم تقيم

وإذا قرنا صورة الأعشى بصورة النابغة في قوله (٢) :

لما الفرات إذا هب الرياح له
ترمي غواربه العيرين بالزبد
يمده كدل وادٍ مشرع لجيب
فيه ركام من التنبؤات والخصد

(١) الديوان ص ٣١

(٢) مختار الشعر الجاهلي . شرح مصطفى السقا . مطبعة مصطفى البابي الحلبي

الطبعة الثانية ١٩٤٨ ص ١٥٤ - ١٥٥

يظل من خوفه الملاح مُمتصياً بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجودته منه سبب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد
تبين الفرق بين الصورتين ، فالنافلة صور الرياح تهب على النهر ،
فتضطرب أمواجه ، وترمي شاطئيه بالزبد ، والأعشى صور زبد النهر
يسود ، وأمواجه تتلاطم ، فقصر عن النافلة في وصف هبوب الرياح ،
وحركة الموج المتكسر على الشاطئين .

والنافلة زادت على الأعشى وصف الرؤاقد التي تشعب في النهر
حاملة ركاماً من الشجر المتكر .

والنافلة صور الملاح مُمتصياً بسككناك السفينة خوفاً من الفرق ،
وقد ناله الأعياء ، والأعشى فصل صورة الملاح وسفنتيه ، فصور النهر
يلقيها على وجهها حتى ليكاد صدرها يشعطم ، وصور الملاح يتهايل
وسقطها ، وبلغاً إلى سككناها من شدة خوفه .

وكلاهما يحمل مدوحه أجود من النهر في تخليف الأحوال .

فصورة الأعشى تحتوي المشاهد التي صورها النافلة ، وتشابه
الصورتين هذا التشابه يوحى إلى النفس الشك في آيات الأعشى ،
وكما احتذى المتنخل النافلة في وصف عطيا النهران احتذاء في تصوير
النهر الفرات .

والألفاظ في آيات الأعشى تدل على أن بيئة المتنخل كانت تنسى
باللغة عناية خاصة .

وعدا ذلك فصورة النافلة أصيلة ، اشترك في إبداعها خيال الشاعر

وحيشه ، فجاءت تقييض بمافي القوة والحياة ، وتؤثر في خيالنا
وشعورنا ، أمّا صورة الأعشى فقد صاغها المتحل بالفاظ جديدة ، ولكن
روحها أفلتت منه .

وكما وردت صورة الفرات في مدح قيس بن ممد بكرب
من اليمنيين وردت في مدح هذيل بن علي من الرُّبَيعيين ، ولعلّ عدم
ورودها في مدح المضريين يُقوي الشك في مدح الأعشى ، وقارب
الأدب يُؤيد هذا الشك إذ يروي أن الكوفة كانت تُقدّم الأعشى على
سائر الشعراء الجاهليين ، والبصرة كانت تُقدّم امرأ القيس ، والحجاز
كان يقدم النابتة وزهيرا .

إلى جانب ذلك نجد للشاعر مدحا خاليا من التكلف والمبالغة ،
كأن يذكر عطف مدوحه على فقراء قومه ، وسعيه في سبيلهم ، فيقول (١) :
وَأَهَانَ مَالِيحَ مَالِدٍ لِفَقِيرِهَا وَأَسَا وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا وَسَعَى لَهَا
إِذْ يَذْكُرُ عَطْفَهُ عَلَى الْإِتَامِ (٢) :
وَرَبِّيتُ إِيْتَامًا وَالْحَقَّقْتُ سَبِيَّةً وَأَدْرَكْتُ جَهْدَ السَّعْيِ قَبْلَ عَنَائِكَ
أَوْ يَجْعَلُ الْكَرَمَ سَبِيَّةً مِنْ سَجَايَاهُ (٣) :
يَرَى الْبُخْلَ مُرًّا وَالْعَطَاءَ كَأَنَّمَا يَلْدُهُ بِهِ عَذْبًا مِنْ الْمَاءِ بَارِدًا

(١) الديوان ص ٢٥

(٢) الديوان ص ٦٦

(٣) الديوان ص ٤٩

ومها يكن من شيء فان الأعشى لم يمدح في مدحه عن المثل
الأعلى الذي ساد عصره ، فقد وصف بمدوحه بالكرم والشجاعة والحيلم
والسيادة والفرف .

والشاعر - كما رأينا - لا يُعنى بصفة الكرم وحسب ، وإنما
يصور مظاهرها في حياة المدوح ، وكذلك يفعل في جلاء صفة
الشجاعة في حياة الملوك ، فيصور الجُند وُعدتهم وغاراتهم وغنائمهم .

وقد ابتكر الأعشى تعبيراً جديداً في وصفه لمدوحه بالشجاعة ،
فهو أخو حرب في قوله (١) :

أخو الحرب لا تضرع واهين ولم يشتمل بقيال خذيم
وصور هذة الحرب من رماح وخيول ودروع في قوله (٢) :

وأعددت للعرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً
ومين تسج داود موشونة تساق مع الحتي عيراً فعيلاً
إذا اردحت في المكان المضى قرحت الثراحم منها القتيلاً
لها جرس كتحفيف الحصا دصادف بالليل ريحاً دبوراً
ويعصور قيساً موقيداً للعرب في قوله يخاطب ناقه (٣) :

تلاقيين قيساً وأشياعنه يستعير الحرب ثاراً فثارا

(١) الديوان ص ٣١

(٢) الديوان ص ٧١ - ٧٢

(٣) الديوان ص ٣٧

ويجمله أحلم من قيس ، وأجراً من الأسد في قوله (١) :
 وأحلم من قيس وأجراً مقبداً لدى الرّوع من لبث إذا راح حارداً
 ولا نجد وصفاً للغارة في مدح الأعتى ، وأقوى ما وصفها به أنها
 شديدة بثور فيها الغبار ، فينمقيد سحابة فوق الروس (٢) :
 فترى سوايقها يثرون عجاجةً مثل السحاب إذا قفوت رمالها
 ولقد كنا نتوقع أن نجد في شعره صوراً للحروب التي كانت
 تشيب بين القبائل ، فهو يصور عدة الجنود قبل الغزوة ، حتى إذا
 عرض للغارة وصفها في بيت أو بيتين مبيناً شدتها وهولها ، هذا
 إلى أن الغارات بين القبائل استمرت حافلة بالشرور والآثام .
 أمّا المدوح المصنف بالحلم ، فقد صورته الشاعر في صورة
 جميل ذلول في قوله بمدح قيس بن معد يكرب (٣) :
 هو ذن كنفدة عادة فاصيراتها اغفير لجاهلها ورو سجالها
 وكئن لها جملاً ذلولاً ظهره إحيد وكنت معاوذاً فحالها
 وصورة الجمل الذلول منتزعة من حياة البادية .
 إلى جانب الحلم يحرم الشاعر على وصف بمدوحه بصفة السيادة
 والكرام . وهو يثبت أولاً أنه سليل بيت ماجيد كريم ، ثم يعرض

(١) الديوان ص ٤٩

(٢) الديوان ص ٢٦

(٣) الديوان ص ٢٥

مظاهر السيادة من تحمّل الثّيعات ، وخوض غمار الحرب ، وحفظ
الذّمة ، وصون الجار .

ولكن الأعشى قد ينلو في مدحه حتى يقع في الاحالة كقوله (١) :
فتى لو ينادي الشمس ألفت قناعها أو القمر الساري لألقى المقاليد
فالشاعر بصور سلطان مدوحه يمتد ويرتفع حتى يبلغ السماء ،
ويتحكّم في الأفلاك ، وهو قول مبالغ فيه ، وتخفف من المبالغة
استعمال أسلوب الشرط في التعبير عن قوة المدوح .

ويهمّنا أخيراً أن نحدد منزلة الأعشى بين شعراء المديح أمثال
النابغة وزهير .

فالأعشى مسرف في مدحه ، ينظمه طمعا في مال المدوح ،
ويبقى فيه ، فتختفي شخصيته كما تختفي شخصية المدوح ، وهو يحشد
الألفاظ والصور في مدحه حشداً ، فيملأ السمع ، ويشير الخيال ، ولكنه
لا يبلغ القلب ، ولا يستقر في النفس .

ولقد ميّز في مدحه الصفات التي يحرص عليها العربي ، لكنه لم
يشمر بها شموراً قوياً حين صوّرها ، فمدحه بشيف عن طمعه في المال
أكثر مما يصور إجلاله للمدوح .

فأمّا النابغة فهو متوسط في مدحه بين الاقتصاد والاسراف ، أو

(١) الديوان ص ٤٩

بينَ الغُلُوِّ والايجاز ، ورُبُّها غلا في مَدْحِهِ كما فعل في مدح النعمانِ
والاعتذارِ إليه .

على أننا 'نحيس' بصدقه في مدحه واعتذارياته ، فقد كان شاعراً
بقوة النعمان وبأسيه و'سَطوتيه' ، فهو اللئيلُ الذي 'يدركه أينما كان' (١) :
فأنك كاللئيل الذي هو 'مدركي وإن خلعت أن' المشتأى منك واسعُ
وهو الشمسُ التي 'يخفي نورها الكواكب' (٢) :

فأنك شمسُ والملوكِ كواكبُ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ
ولقد كان الأعشى مفتوناً ببطايا النعمان ، ومظاهرِ الترفِ والنعيمِ
في 'ملكه' ، فعدَّده عطاياها كما 'يعدُّد الصبي' لعبته ، وشبَّهه في جوده
بالفرات ، وجعل 'جوده' خيراً منه وأبقى .

وتلك الصورة تخدعنا عن أنفسنا لأنها ترتفع عن مستوى الصور
الفردية لِوَجْدٍ من عامة الناس ، وهي 'زُخْري حاسِئتُنا الفنية' لأنها
'عرضتْ' في إطار من الموسيقى ، وتقلَّتْ عاطفةَ الشاعر وأحاسيسه ،
واستطاعتْ أنْ 'تؤثِّرَ في عواطفنا وخيالنا' .

وأما زهيرُ بنُ أبي سلمى فقد كان 'مقتنصيداً' في مدحه ،
'مُعْجَباً' بشخصيته ، شاعيراً بذاته ، فلم يفتنْ في المدوح ، وقد تميَّزَ
في مدحه الصفاتِ الثُلِي التي يتطَّلَع إليها العربي ، وتغنَّى بها .

(١) مختار الشعر الجاهلي ص ١٥٨

(٢) المدون ص ١٧٥

فهرم بن سنان كريم بطبعه كما في قول زهير (١) :

قد جعل البستغون الخبير في هرم
ومن يلق يوما على علاءه هريما
والسائلون إلى أبوابه طرقا
يلق الساحة منه والندى خلعا

وكرم هرم مظهر حمي صادق لذلك الطبع ، فهو يهش في
وجه سائله كمن يطوي ولا يعطى شيئا (٢) :

زاه إذا ما جثته منهلا
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فهو واضح الشخصية يمتاز بالحكمة وبعيد النظر ، وعندما مدح
هرم بن سنان والحارث بن عوف وصف تسفيها بالصلح بين عبس
وذبيان ، ورغبتها في السلم ، ولم ينتظر أن يتدربها أحده
لهذه السبحة .

ولما فتاهها الشاعر حقها من المدح قاب إلى نفسه ، وعبر عن
رأيه في الحرب .

٤ - فخره :

قال الأعشى في الفخر كما قال في غيره من أبواب الشعر ، والفخر
يدخل في باب الحماسة ، ويتصل باليسالة والاقدام في مواضع الضرب
والطعان . كما يتصل بأخذ الثأر ، والفخر بالأهل والعشيرة .

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٤٩ - ٥٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٢

ولا شك في أن حياة البداوة ، وما يكون بين القبائل من
تفافس وتناحر وتفاخر وحروب تدوم أياماً وأعواماً ، غنية
الشاعر بالكثير من معاني الفخر ، وتجعل لهذا الباب مكاناً كبيراً بين
أبواب الشعر .

وقد شغل الفخر المله الأول في مختارات أبي تمام حتى سماها
بالحماسة ، ومنظمتها لشراء جاهليين وإسلاميين .

ونستطيع أن نمثل لفخر الأعشى بقوله في معاقته بمخاطب يزيد
ابن مسهر الشيباني مهديداً ، ويستعلي عليه مفخيراً بقبيلته .

وسبب نظم المعلقة ، فيما يروي صاحب الأغاني ، أن رجلاً اسمه
ضبيع من بني كعب بن سعد ، وهو أحد يوت قيس بن ثعلبة
قوم الأعشى ، قتل رجلاً يدعى زهير بن سيثار من بني همام ،
وهو أحد يوت ذهل بن شيبان قوم يزيد ، وكان القاتل ضبيع
لا يمدل القتل زاهراً . ثم تم بنو سيثار أن يأخذوا بثأر قتلهم ،
فهاهم يزيد أن يقتلوا به ضبيعا ، ونصحهم أن يقتلوا به سيدا ، وهو
أحد بني سعد بن مالك .

ولما بلغ بني قيس بن ثعلبة ذلك هاجم الأعشى يزيد بقصيدته ،
وطلب إليه أن يدع بني سيثار وبني كعب وحدهم ، فإنه إن أعان يوت
ذهل ببني سيثار لم يكن لقومه يد من أن يمينوا بني كعب .

وقد كان الشاعر مهديداً لفخره بوصف هريرة ، ووصف السحاب
والرحلة ، والتغني باللهو والشراب ، ثم انتهى إلى الفخر بقوله (١) :

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النوزجية ص ٦١

أَبْلِيغٌ يَزِيدُ بَنِي شَيْبَانَ مَا لَكَ
أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا
تَغْرِي بِنَارَ حَطِّ مَسْمُودٍ وَإِخْوَتِهِ
لَا عَرِفْتُكَ إِنْ جَدُّ النِّفِيرِ بَنَا
كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا
لَا عَرِفْتُكَ إِنْ جَدُّنَا عَدَاوَتُنَا
تَلَزِمُ أَرْمَاحَ ذِي الْجَدِّ بَنِي سَوْرَتِنَا
لَا تَقْعُدُنْ وَقَدْ أَكَلْتَهَا حَطَبًا
قَدْ كَانَ فِي أَهْلِ كَهْفٍ إِنْ هُمْ قَعَدُوا
سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا
وَأَسْأَلُ قَشِيرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمْ
إِنَّا تُقَاتِلُهُمْ حَتَّى تُقَتِّلَهُمْ
كَلَّا زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا تُقَاتِلُكُمْ
حَتَّى يَظُلَّ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُشَكِّيًا
أَصَابَهُ رَهْنٌ وَأَنِي فَأَقْصِدْ
قَدْ تَخَضَّبَ الْعَبِيرُ مِنْ مَكْنُونِ قَائِلِهِ
هَلْ تَنْتَهَوْنَ أَوْ لَا بَشَى ذَوِي شَعْلٍ
إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا
لَتَيْنِ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدْدًا
لَتَيْنِ مُنِيتَ بَنَا عَنْ غِبٍّ مَمْرُكَ
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْعَيْنِ ضَاحِيَةٌ
قَالُوا الرُّكُوبُ قَتَلْنَا نَلَّكَ عَادَتُنَا

أَبَا بَيْتٍ أَمَا تَنْفَكَ نَا تَكِيلُ
وَلَسْتُ ضَائِرًا مَا أَطَّتِ الْأَيْلُ
عِنْدَ الْإِقَاءِ قَتَرُ دِيهِمْ تَعْتَزِلُ
وَسَبَّتِ الْحَرْبُ بِالْعَشْوِافِ وَاحْتَمَلُوا
فَلَمْ يَغِيرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِيلُ
وَالْتَمِيسُ الْأَصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تَحْتَمِلُ
عِنْدَ الْإِقَاءِ قَتَرُ دِيهِمْ وَتَعْتَزِلُ
تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
وَالْجَائِزِيَّةُ مِنْ يَسْمَى وَيَسْتَعِيلُ
أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكْلُ
وَأَسْأَلُ رِيحَةَ عَنَّا كَيْفَ تَقْتَمِلُ
عِنْدَ الْإِقَاءِ وَهُمْ جَارُوا وَهُمْ جَبِلُوا
إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ
يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ مُعْجِلُ
أَوْ ذَائِلُ مِنْ رِيحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلُ
وَقَدْ يَشِيْطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ
كَالطُّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ
تَحْدِي وَسِيْقُ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغَيْلُ
لَتَقْتُلُنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَتَحْتَمِلُ
لَمْ تَلْقَيْنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ تَنْتَفِيلُ
جَنْبِي وَفُطَيْمَةٌ لَا مِيلُ وَلَا عَزْلُ
أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَأَنَا مَمْشَرُ نَزْلُ

فهو يتخيل صاحباً له ، ويسأله أن يبلغ يزيد رسالة منه ،
والرسالة تشتمل على المعاني التي ساقها الشاعر في معرض التهديد والفخر .

فيزيد تغلي زعة الشر في صدره ، فهو ينال من أصل قوم
الأعشى ويحذرهم ، ويثري بهم قوم مسمود ، حتى إذا اقتتل الفريقان
اعتزلهم يزيد كأنه لم يحترس على القتال .

وبصور الأعشى يزيد صورة ساخرة ، فهو عندما ينال من قوم
الأعشى ، ويوقع الحرب بينهم وبين خصومهم ، وينتشر المحاربون
كالطوفان في ساح المركة ، لا ينال من قوم الأعشى إلا ما يناله وعدل
ينطرح صخرة ، فيؤهين قرنه من غير أن يؤثر فيها ، وهي صورة
ساخرة مضحكة .

ويحط الشاعر من قدر يزيد ، فهو لا يخوض حرباً مع بني
مسمود ، وإنما يلقهم فيها حطياً ، ثم يعتزلهم ، ويقعد بعيداً عنها ،
مستعيذاً من شرها ، مبتلياً إلى الله أن يجتبه لظلمها . وهي صورة
ذات وجهين متضادين ، فيزيد يوقد نار الحرب ، ثم يولّي بعيداً
خشية الأذى .

ويتابع فخره ، فيذكر القبائل التي طادها قومه ، وغلبوا عليها
كأسد بن ربيعة ، وفشير بن كعب بن ربيعة ، ويطلب إلى يزيد
أن يسأل ربيعة كلها عن قومه الذين قتلوا أعداءهم تقيلاً ، وجزؤهم
بما آجنوا عليهم .

ثم يخاطب قوم يزيد الذين ظنوا أن بني قيس بن ثعلبة لن

يقاتلونهم ، وليسوا أنثدادا لهم ، فيؤكد أن قومه سيقاتلونهم قتالا
يخير فيه عبيدكم صريع السيوف والرماح ، متكثرا على مرقيه ، قد
هلك من حوله الرجال ، ودفت عنه النسوة بالأيدي ، وبصور قومه
بصيرين بمواضع الضرب والطمن ، يصيرون القتائل ، ويسقط على
أرماحهم الأبطال مخضبين بدمائهم ، ثم ينصح قوم يزيد أن ينتهوا ،
فهذا خير لهم . فان لم يفعلوا فسيعلمون طمنا بنجالي من جروح
عميقة تنور فيها القتل .

والصورة مركبة من أجزاء ، فنحن نشهد الثعابين من
الفريقين ، وحرركات الضرب والطمن ، وسقوط القتلى والجرحى ،
واشتراك النسوة في الحركة ، وعدة الحرب من سيوف وهندية ورماح
خطية ، كما نبصر الجراح العميقة تنور فيها القتل ، وهي صورة
قائمة راعية .

ثم يقيم بالكعبة التي تقصدها الابل ، ويساق إليها البقر والنحر ،
أن يقتل قومه أفضل سيد في قوم يزيد إن هم قتلوا منهم سيدا
أرفع من قبيلهم زاهر .

وانقسم بالكعبة التي يطمئنها العرب جميعا ، وبما يراق على
جوانبها من دمر ، يذكرنا النابغة الذي أقسم برَبِّ الكعبة والطير
العائذات بالحرم ، والدماء المراقبة على الأنصاب ، مؤكدا براعته بما
أنشيم به .

ثم يفخر باعتيادهم القتال ، فهم لا يملكون الضرب والطمن ، ولو

”قَدِيرٌ لِّخَصُومِهِمْ أَنْ يُجَبِّرَ بُؤَهُمْ” عَقِيبَ ”مُتْرَكَةٍ خَاضَوْهَا لَوْجِدُوا فِيهِمْ
نَشَاطًا لِلْقِتَالِ .

وَيُذَكِّرُ كَثِيرَ خُصُومَتِهِمْ بِأَيَّامِ لَهْمٍ ، فِيهِمْ فَوَارِسُ يَوْمِ الْعَيْنِ ، يُجَبِّدُونَ
رُكُوبَ الْحَيْلِ ، وَيَحْمِلُونَ عُدَّةَ الْحَرْبِ ، وَيُقَاتِلُونَ رَاكِبِينَ رَاجِلِينَ .

فَالشَّاعِرُ يَفْخَرُ بِمَجْدِ قَوْمِهِ ، وَأَصْلِيهِمْ ، وَأَيَّامِهِمْ ، وَعُنْفِهِمْ فِي
الْقِتَالِ ، وَاعْتِيَادِهِمْ إِيَّاهُ ، وَبَعَثَرِهِمْ بِمَوَاضِعِ الضَّرْبِ وَالطَّنِّ ، وَيَذَكِّرُهُمْ
”عُدَّةَ الْحَرْبِ الْحَيْلَ وَالْفَرَسَانَ وَالسِّيُوفَ وَالرَّمَاحَ ، وَيُورِدُهُمْ مِنْ ذَلِكَ
صَوْرًا قَائِمَةً رَابِعَةً .

الفصل الثاني

فنه

قال الأعشى في النزل والخمر والمدح والمجاء والوصف، وتصرّف في هذه الفنون، ففتر شعره، وطالت قصائده، وامتاز بذلك من يثني شعراء الجاهلية.

وأول ما نلاحظ في ديوانه طول قصائده، فالقصيدة تطول حتى تبلغ ثمانين بيتا، وهذه الصيغة غالبية على شعره، وقد أشار إليها القدماء، فذكر صاحب الأغاني أن أبا عبيدة قال (١) :

«من أقدم الأعشى يحتاج بكثرة طواله الجياد وتصرّفه في المديح والمجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره». وقدمه أبو عبيدة (٢) على طريقة : «لأنه أكثر عدد طوال جياد، وأوصف للخمر، وأمدح، وأهجن».

ومع أن تدوين الشعر في القرن الثاني اعتمد على الحفظ والرواية، فإن قصائد الأعشى وصلت إلينا طويلة على حين وصلت قصائد غيره.

(١) الأغاني ج ٩ ص ١٠٩

(٢) الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٦٣

من الشعراء بتمامها ، وهذا يحملنا على الشك في شعره ، فمما تكن
الذاكرة قوة أمينة في النقل ، فاتها لا يمكن أن "تقيّد القصيدة كما
تقيدها الكتابة .

١ - بناء القصيدة :

وجري الأعشى في نظام القصيدة على النهج التقليدي من وقوف
بالديار ، وتشبيب بالمحبة ، ووصف الناقة والطريق ، وانتقال إلى
الغرض المقصود .

غير أنه لم يلتزم ذلك النهج تماماً في قصائده ، وإنما فوّض فيه
وبدّل ، فقد مدح قيس بن معد بكرب بقصيدته النونية ، ومطلعها (١) :

لعمرك ما طول هذا الزمان	على الترم الا عشاء معين
يظلم رجياً لرئب النون	وليس تقم في أهله والحزن
وهالك أهمل بمحنونه	كسأخر في قفرة لم يجن
وما إن أرى الدهر في صرفه	ينادر من شارخ أو يفن

فبدأها بذكر عبر الدهر ، ثم انتقل إلى الغزل ، ثم وصف
الحجر ، ثم وصف الناقة والطريق ، وأخيراً انتهى إلى المدح ، وهذه
الطريقة مألوقة في بناء القصيدة .

ومدح قيساً ذاك بقصيدة ثانية ، ومطلعها (٢) :

أنهجر غايية أم تليم أم الحبل وام بها مشجذم

(١) الديوان ص ١٣ - ١٤

(٢) الديوان ص ٢٨

فبدأها بالفرز ، ثم وصف اللهو والشراب ، ثم تنحّص إلى الدح ، ثم صور الحوارَ بينه وبين ابنته ، فهذه تحرّص على استبقائه بجانبها ، وتحنّى أن يجفّفوها الأهل بعد رحيله ، وهو يصيّرُها ، ويضرب لها الحوادث مثلاً للمظة والميرة .

ومدح الأسود بن المنذر بلاميته ، ومطالعها (١) :

ما بكاء الكبير بالأطلالِ وسؤالي فهل ترُدُّ سُؤالي

فاستهلّها بسؤال نفسه عن جدوى بكاء الديار واستنطاقها ، ثم صور الدائمة تعبّت بها الرياح ، وتذكّر « جبيّرة » ، وبندء عنها ، وتعذّر وصوله إليها ، واستعاد ماضيه معها ، ثم وصفها وصفا حميما ، ثم تسكّى عنها بالسفر على ناقته (٢) :

فاذهبي ما إليك أدركني الحيلُ مـ عدائي عن ذكركم أشغالي
وعسير أدماء حادرة العيشِ — نـ نخوف عبرانة شملالِ
قد نعللتها على نكظر الميتِ طـ وقد نخب لامعات الآلِ

وانتحرف في وصف ناقته إلى تشبيهها بحمار الوحش ، وأمن في وصفه (٣) :

هشتريس تعدو إذا مسها السوءُ طـ كعدو المصلّيل الجوّالِ

(١) ديوان الأعمى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٣

(٢) المصدر نفسه ص ٥

(٣) المصدر نفسه ص ٧

ثم عاد إلى ناقته (١) :

ذَلِكَ تَعَبُّهُتْ نَاقِي عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَنْ بَعْدِ الْكَلَالِ وَالْأَعْمَالِ

ثم صور تشكيها إليه ، وسألها أن تصيد المدوح (٢) :

لَا تَشْكِي إِلَيَّ وَأَنْتَ جَمِي الْأَسَدُ وَدَّ أَهْلُ النَّدَى وَأَهْلُ الْفِيَالِ

وبذلك انتهى إلى الغرض المقصود .

وهجاء يزيد بن مسهر الشيباني ، وافخر بقبيلته في معلقته ،

ومطلعها (٣) :

وَدِّعْ هَرَبْرَةَ إِنْ الرَّكْبَ مُرٌّ تَعْلُ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعَا أَيُّهَا الرَّجُلُ

بدأها بالفرل ، ثم وصف هريرة وصفا ماديا حسييا ، واستطرد في

وصفها إلى تشبيهها بالروضة ، وجعلها أطيب من هذه تشرا ، وأجمل منها

منظرا في الأصيل ، ثم ذكر صدودها عنه ، وانتقل إلى مجلس الفناء

والشراب ، فوصف ما فيه من خمر ورينحان ، ومن فيه من ساق

وندامى وقيان ، ثم انتقل إلى وصف رحلة له ، ثم وصف المارض

والبرق ، و انتهى إلى تهديد يزيد ، والفخر بقبيلته ، وانتصارها

على القبائل .

والأعشى يثيغ الفرل الحر في عدد من قصائده ، فهو لا يكاد

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٧

(٢) المصدر نفسه ص ٧

(٣) المصدر نفسه ص ٥٥

يَتَفَرَّضُ بِمَعْبُودَتِهِ ، وَيَأْخُذُ فِي وَصْفِ جَمَالِهَا الْمَادِّي وَطَيِّبِ رُضَائِهَا حَتَّى
يُشَبِّهَ هَذَا بِالْحَرِّ ، وَهَذَا يَنْتَقِلُ إِلَى وَصْفِ الْحَرِّ ، وَتَصَوُّرِ مَجَالِسِ الشَّرَابِ ،
فَالْفَزْلُ وَالْحَرُّ صِنْتَانِ مُتَلَازمانِ فِي شِعْرِهِ ، وَهَذَا وَسِيلَتُهُ إِلَى خَلْقِ
الْجَوِّ الْفَنِيِّ .

٢ - أسلوبه ومعانيه :

ونلاحظ في معانيه تأثيرَ بيئاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَلَا سِيَّاهُ بِيئَةُ الْجَزِيرَةِ
الْمَرْيَةِ ، وَبِيئَةُ الْعِرَاقِ .

وَيَدُورُ غَزْلُهُ عَلَى وَصْفِ جِسْمِ الْمَرْأَةِ ، وَالتَّبَسُّمِ عَنْ إِحْسَاسِهِ
الْغُلَامَانِ وَشَهْوَتِهِ الْعَارِمَةِ .

وَيَبْدُرُ أَنْ نَجِدَ لَهُ مَعْنَى يَسْمُو بِالْمَرْأَةِ فَوْقَ عَالَمِ الْمَادَّةِ . وَيَتَضَمَّنُ
شِعْرُهُ ذِكْرَ بَاتِ شَبَابِهِ ، وَهُوَ يَتَغَنَّى بِهَا مُتَلَذِّدًا لَا مُتَأَلِّيًا .

وَيَتَصَفَّ غَزْلُهُ بِالرِّقَّةِ وَالْخُنُوتَةِ وَالْخُلَاعَةِ ، وَهِيَ صِفَاتُ أَفَادِهَا
مِنَ الْعِرَاقِ .

وَيَصُورُ صَاحِبَتَهُ صَوْرًا حَسِيَّةً فَيُشَبِّهُهَا بِالْظُّبِيَّةِ ، وَيُشَبِّهُ رُضَائَهَا
بِحَمْرِ مُعْتَقَةٍ مَازَجَهَا مَاءُ زُلَّالٍ ، فَيَقُولُ (١) :

ظُبِيَّةٌ مِنْ ظَبَاءٍ وَجُرَّةٌ أَدَمًا نَسَفَ الْكَبَاثُ نَحْتَ الْهَدَّالِ
وَكُنَّ الْخَمْرُ الْعَثِيقُ مِنَ الْأَسْ فَيَنْطُرُ مَمْرُوجَةً بِمَاءِ زُلَّالِ

(١) الديوان ص ٥ .

وصورة الطيبة "تمثل البيئة البدوية ، والحر العتقة" تمثل
بيئة العراق .

ويعبر "أثر الفراق في قوله (١) :

قَبَّانَتْ فِي الصَّدْرِ سَدَمٌ لَهَا كَصَدَمِ الزَّجَاجَةِ مَا يَلْتَنِّمُ
وتدور "خبرياته على وصف الحر وأدواتها ، وبحال الشراب
والفناء ، وأثر الحر في الشارين .

وأسلوبه في خبراته صافٍ رائق ، "مفصل" على قدر المعنى ،
مجانيس له ، وربما كان أسلوبه فيها أجود أساليبه في بقية فنونه .

وبقصر "زردة" إلى الحوانيت مع صحبه ، ومساومته الخمار
على ثمن الحر ، ويعرف فيما بين ذلك الخمار وخبائه ، والحر وأثرها ،
فيمت الحياة في الجو ، ويحدث الأسلوب القصصي (٢) :

قَعْمْنَا وَلَحْمًا بَصِيحٌ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِيهَا
تَفْخَلُهَا مِنْ بَكَارِ الْقِطَافِ أَزْيَرِقُ آمِينَ إِكْشَادِيهَا
قَعْلُنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلٍ مُقْتَادِيهَا
فَقَالَ تَزِيدُونَنِي نِسْفَةً وَلَيْسَتْ بِعَدَلٍ لِأَنْتَادِيهَا

وتشتمل خبراته على ألقاظ تنقل أحاسيسه الشخصية (٣) :

تَمَرُّزَتْهَا غَيْرَ مُسْتَدْبِرٍ عَنْ الشَّرِّ أَوْ مُنْكَرٍ مَا عُلِمَ

(١) الديوان ص ٢٨

(٢) الديوان ص ٥١

(٣) الديوان ص ٢٩

فكلمة (تَمَرُّز) تصور إحساسه بِمَازَاةِ الحُر .

وَيُصَوِّرُ تَلَذُّذَهُ بِطَيِّبِ مَذَاقِهَا (١) :

”زَيْدُكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ“ إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقِهَا يَتَمَطَّقُ

وكلمة (يَتَمَطَّقُ) ”تَعِدُّ صَوْتَ اللِّسَانِ حِينَ اسْتَمْتَرَ أَنْ طَعَّمَ الحُر .

وَيَدُورُ مَدْحُهُ عَلَى وَصْفِ الْمَدْحِ بِعِدَّةِ صِفَاتٍ ، فَهُوَ وَافِرٌ الْعَطَاءِ ،

وَاسِعٌ الصَّدْرِ ، شَدِيدُ الْيَأْسِ ، أَخُو الْحَرْبِ ، يَحْنُو عَلَى الضَّعِيفِ ،
وَيَحْمِي الْجَارَ ، وَيَتَحَمَّلُ النُّبُاتِ .

وَيَبْنِيهِ مِنْ ذَلِكَ كَرَمُهُ ، قِيَابِغٌ فِي وَصْفِهِ ، وَيَعْرِضُ مَظَاهِرَهُ ،

فَيُشَبِّهُهُ بِنَهْرِ الْفَرَاتِ يَفِيضُ وَيُزِيدُ ، وَتَضْطَرِبُ أَمْوَاجُهُ حَتَّى يَتَهَدَّدُ

السَّفِينَةُ وَالْمَلَّاحُ بِالْفِرْقِ ، ثُمَّ يَجْمَلُ مَدْحَهُ أَعْظَمَ مِنْهُ ”جُوداً وَأَدْوَمَ

خَيْراً . وَهَذِهِ الصُّورَةُ تَمَثَّلُ بَيْتُهُ الْعِرَاقِ .

وَقَدْ يُشَبِّهُهُ مَدْحُهُ بِجَمَلِ ذَلُولٍ دَلَالَةٍ عَلَى نَهْوِهِ بِأَهْبَاءِ الْقَبِيلَةِ (٢) :

وَكُنْ لَهَا جَمَلاً دَلُولاً ظَهْرُهُ” إِحْمِلْ” وَكُنْتَ مُعَاوِداً نَحْمَلُهَا

وَأَسْلُوبُهُ فِي الْمَدْحِ وَاسِعٌ مُفَصَّلٌ ، يَزِيدُ عَلَى الْمَعْنَى ، وَيَقُومُ عَلَى

إِيرَادِ الْأَلْفَاظِ الضَّخْمَةِ ، وَالصُّورِ الْفَخْمَةِ ، لِجَمَلِهَا آذَانَ السَّامِعِينَ

وَنُقُوسَهُمْ ، وَقَدْ يَتَعَمَّدُ عَلَى الْأَلْفَاظِ أَكْثَرَ بِمَثَلٍ يَتَعَمَّدُ عَلَى الصُّورِ ، كَقَوْلِهِ

(١) الديوان ص ١٤٧

(٢) الديوان ص ٢٥

في مدح قيس بن معد يكرب (١) :

ولكن ربي كفى غربي	بمحمد الاله قد بلغن
أخا ثقة عاليا كعبه	جزيل المطاء كريم المين
كريما شمائله من بني	مناوية الأكرمين السفن
فان يتبعوا أمره يرشدوا	وان يسألوا ماله لا يضر
وان يستضافوا إلى حكمه	يضافوا إلى هادين قد رزن

فالأعشى جرى في نظام القصيدة ، وفي تصوير المعاني ، وفي صياغة
الألفاظ ، على نهج معروف ، واستعمل قوالب محدّدة ، وقد ضاق
الشعراء بهذه السنته الشعرية حتى قال زهير :

ما أرافا نقول إلا مضاراً أو معاداً من قولنا مكروراً
يريد أن المتقدمين لم يتركوا للتأخرين شيئاً يقولونه .

وقال حنتره في ذلك (٢) :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرقت الدار بعد قوهم
يريد أن الشعراء ما زالوا ينهجون نهجاً واحداً في قصائدهم .

وأكثر ما يبدو جمود الشعر في وصف الأطلال ، وفي وصف
الناقة والطريق ، فالشاعر يكرر في هذه القصيدة ما قاله في تلك .

(١) الهويان ص ١٧

(٢) هرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . الأنباري . ٢٩٤

وأعلبُ الشعراء وقفوا بالديار ، وبكوها وصوروا آثارها ،
ونسلوا عن أحبابهم بالسفر ووصف الناقة والطريق ، وانحرفوا في وصف
الناقة إلى تشبيهها بمهار الوحش أو الثور الوحشي ، وأسهبوا في وصف هذا ،
ثم عادوا إلى الناقة ، وابتعدوا إلى الترض المقصود . وقد غدا ذلك نهجاً
تقليدياً ألغى شخصيات الشعراء ، وحدد العثورة وقوايتها ، فالشاعر
إذا بدأ رحلته ، وأخذ في وصف الناقة والطريق ، أضمن في الوصف ،
وتحرك في قيود ضيقة ، حتى كاد يبتلى نفسه وغرضه المقصود .

٣ - خصائصه الفنية :

وقد وجد الدكتور محمد حسين في شعر الأعشى خصائص فنية
امتاز بها من الشعراء ، كوحدة القصيدة ، والاستدارة ، والاستطراد ،
والقصص (١) :

ولا شك في أن القصص في شعر الأعشى وغزله يميز أسلوبه
من أساليب الشعراء ، وقد طالع في شعره حتى أتقنه ، وتأثر به الشعراء
من بعده كأي نواس .

أما بقية الخصائص فلا نظن أن الشاعر انفرده بها ، فقصيدته
متنوعة الموضوع ، والشاعر ينتقل من موضوع إلى آخر انتقالاً مباشراً أو
غير مباشر ، وقد يتفق أن يطرق معنى في عدد من الأبيات ، وأن

(١) ديوان الأعشى الكبير . المطبعة النموذجية / ط ، وما بعده .

”تجري الأيات” متهايككة ”مترايطة ، ولكن هذا شيء ، ووحدة القصيدة شيء آخر .

كذلك يتفق أن تتوالى في القصيدة الواحدة مجموعة ”أيات ذات معنى عام” ، وأن يكون لكل بيت معنى ”جزئي” ، وأن يتيم المعنى بالبيت الأخير من أيات المجموعة ، ولكن هذه الخصيصة الفنية التي يسميها شارح الديوان بالاستدارة يشترك فيها الشعراء جميعا .

والاستطراد نجد عند الأعشى كما نجد عند آخرين ، فالنابغة في معلقته يقف بالديار ، فيصف آثارها ، ثم ينتقل ”فجأة” إلى وصف ناقته بقوله (١) :

”فقد عمتا ترى إذ لا ارتيجام له” وأنتم القنود على عبرانة أجدر ثم يشيها بالثور الوحشي (٢) :

كأن رحلي وقد زال النهار بنا يوم الجليل على مستأنس واحد ويمضي في وصف الثور ، ثم يعود إلى ناقته التي ستبلغه النمان (٣) :

فتيلك تبليغي النمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد وليد يقف بالديار ، ويصفها ، ثم ينتقل إلى صاحبته نوار ،

(١) مختار الشعر الجاهلي . شرح مصطفى النفا . مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

١٩٤٨ طبعة ثانية . ص ١٥٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٥١

فيمررُ بِمَدَّهَا عَنْهُ ، وَقَطِيعَتَهَا لَهُ ، ثُمَّ يَتَسَلَّى عَنْهَا بِوَصْفِ النَّاقَةِ ،
وَبُشَيَّهَا تَشْبِيهَاتٍ ثَلَاثَةً ، فِيهِ فِي شِدَّةِ جَرِّيْهَا ، سَعَابَةُ تَنْدْفِيعِهَا
الرَّيْحُ مُسْرِعَةٌ ، وَأَنَّ يَطَارِدَهَا الْحَارُ فِي الْآكَامِ ، وَبَقَرَةٌ وَحْشِيَّةٌ اقْتَرَسَ
السَّبُعُ وَلَدَهَا ، فَقَامَتْ تَصْبِيعُ وَتَبَحُّثُ عَنْهُ ، وَبَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ وَصْفِ
الْبَقَرَةِ ، يَمُودُ إِلَى نَاقَتِهِ الَّتِي يَقْضِي بِهَا حَاجَتَهُ عِنْدَ التَّيَامُمِ الشَّرَابِ (١) :
فَتِلْكَ إِنْ رَقَصَ الثَّوَامِيعُ بِالْمُشْحَى وَاجْتَنَابَ أَرْدِيَّةَ الشَّرَابِ إِكَامُهَا
أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرِطُ رِيَّةَ "أَوْ" أَنْ تَلُومَ بِحَاجَةِ لَوَّامُهَا
ثُمَّ يَدْعُ لِيَدِ نَاقَتِهِ ، وَيَفْرَغُ لِفُغْرِهِ .

فَالْأَعْيُ بِشَاكِلِ الشَّرَاءِ فِي تِلْكَ الْخَصَائِصِ ، وَيَنْفَرِدُ عَنْهُمْ
بِالْأَسْلُوبِ الْقَصَصِيِّ ، وَلَا يَكَادُ يُجَارِيهِ فِيهِ غَيْرُ أَمْرِءِ الْقِيَمِ .

فَهُوَ فِي غَزَلِهِ يَقْصُ مَا وَقَعَ لَهُ مَعَ صَاحِبَتِهِ ، فَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهَا
رَسُولًا لِيُحَدِّثَهَا بِأَمْرِ هَوَاهُ ، فَتَنَاقَشَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَانَتْ بِمَدِّ قَسْوَةٍ ،
وَضَرَبَتْ لَهُ تَمُوعِيدًا بِمَدِّ أَنْ دَلَّتْهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا لَيْلًا ،
وَقَضَى مِنْهَا وَطَرَةً ، وَصَوَّرَ مَا كَانَ بَيْنَهَا مِنْ عَبَثٍ وَمُجْثُونٍ (٢) .

وَرَبَّمَا كَانَ أَسْلُوبُهُ الْقَصَصِيُّ فِي الْحُرَيَاتِ أَظْهَرَ مِنْهُ فِي الْغَزَلِ ،
فَهُوَ يَتَحَرَّكُ مَعَ صَحْبِهِ فِي "جَوْ" طَلْقٍ ، وَيُحَدِّدُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ،
وَبُصُورَ دَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ ، فَهَمْ يَسْرُونَ إِلَى الْحَانُوتِ ، وَيَسَاوِمُونَ الْحُثَّارَ

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجامعيات ص ٥٧١ - ٥٧٢

(٢) ديوان الأعمى الكبير . المطبعة النوفجية ص ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥

على ثمن الخمر ، والخمّار يُفالي فيه ، لأنه يعرف بجودة خمره ، ويحبس
 رغبة الشرب فيها ، ثم يقيم البيع والشراء ويتقّد الخمّار دَراهمهم
 في ضوء السراج ، ويجلسون لشراب ، فيقوم ويصّب لهم قهوة تسكن
 بعد إرعاد ، وتكشف عن محمّرة بعد إزباد (١) .

٤ - موسيقا شعره :

ولشعره رنة لا تحبس مثلها في الشعر الجاهلي ، ويغلب
 على الظن أنه أفادها من ترده إلى العراق ، فقد ذكرت كتب الأدب
 أنه حضر بحاليس الخمر ، واستمع للفتيان وتوقيمين على العود والميزهر
 والصنج ، ولم يكتف بشهود تلك المجالس وحسب ، وإنما عقد
 مثلها في اليامة ، فقد كان يشتري الخمر من الميادين في الحيرة ،
 ويعود إلى منفوحة مصطحباً قينة لتغنيته في مجالسه الخاصة في بيته
 على مرأى ومسمع من الفتيان ، وربما تماطى الشرب على الصنج ،
 ووقع عليه شمره ، وهو ينشده ، فسُمّي صنّاجة العرب .

وتفيد كتب الأدب أنه لقيب بالصنّاجة لجودة شعره ، ولكن
 هذا لا يوضح سبب تلقيه به ، وإذا رجعنا في شرحه إلى قواميس
 اللغة ، كلسان العرب ، تبين أن الصنّاجة هو اللاعب بالصنج ، وأن
 الصنج الذي عرفته العرب هو ما يكون من دق ، أو يتخذ من
 صقر يضرب أحدهما بالآخر .

(١) ديوان الأعمى الكبير . المطبعة النموذجية ص ٦٩ - ٧١

وَرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ الْأَعْنَى قَدْ لَعِبَ بِالصَّنَجِ ، وَوَقَّعَ عَلَيْهِ
شَمْرَهُ ، فَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي قَوْلُهُ (١) :

«وَكَانَ يُغَنِّي فِي شَمْرِهِ فَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ صَنْجًا الْعَرَبُ ،
يَبْنَاءُ الْفِعْلَ (يُغَنِّي) لِلْمَجْهُولِ ، وَبِمَكْنَاهُ أَنْ تَقْرَأَ الْقَوْلَ يَبْنَاءُ الْفِعْلَ لِلْمَعْلُومِ .

وَإِذَا سَلَّمْنَا بِأَنَّ الْأَعْنَى كَغَنَى فِي شَمْرِهِ كَانَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ لَمْ
يُنْشِدِ الشَّمْرَ كَمَا أَنْشَدَ الْجَاهِلِيُّونَ ، وَإِنَّمَا أَنْشَدَهُ مُوَافِقًا لِإِتْيَانِهِ عَلَى آلَةٍ
طَرَبَ ، وَلَعَلَّ الصَّنَجَ أَبْسَطُ الْأَلَاتِ تَرْكِيبًا ، وَأَكْثَرُهَا مُوَافَقَةً
لِتَوْفِيقِ الْأَنْشَادِ .

عَلَى أَنَّ الْمَوْسِيقَا رَكْنُ أَسَاسِيٍّ فِي الشَّمْرِ ، وَالشَّمْرُ لَا يَكُونُ
حَقًّا إِلَّا إِذَا تَوَافَرَتْ فِيهِ الْمَوْسِيقَا أَوَّلًا ، وَالصُّوَرُ الْمَعْنَوِيَّةُ ثَانِيًا ، وَالصُّوَرُ
إِنَّمَا تُعْرَضُ فِي إِطَارٍ مِنَ الْمَوْسِيقَا الشَّمْرِيَّةِ الَّتِي تُتَأَلَّفُ مِنْ مَوْسِيقَا اللَّفْظِ
وَالْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ ، وَهَذِهِ الْمَنَاصِيرُ مُتَشَدِّجَةٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ بِحَيْثُ
يَصْعَبُ الْفَصْلُ بَيْنَهَا .

فَأَمَّا اللَّفْظُ فَلَهُ مَوْسِيقَا خَاصَّةٌ تُوَحِّيهِ إِلَى النَّفْسِ بِمَعَانٍ فَوْقَ
مَعَانِي الْأَلْفَافِ ذَاتِهَا ، فَكُلُّ كَلِمَةٍ يُسَبَّرُ عَنْهَا بِأَصْوَاتِ حُرُوفِهَا وَتَعَاقُبِ
الْكَلِمَاتِ عَلَى نَحْوِ خَامْسٍ فِي الْبَيْتِ يُحْدِثُ مَوْسِيقَا اللَّفْظِ ، وَهِيَ تَمَوْجَاتُ
صَوْتِيَّةٌ تَتَخَلَّفُ ارْتِفَاعًا وَانْخِفَاضًا ، وَشِدَّةً وَلِينًا ، وَطَوْلًا وَقَصْرًا .

(١) الْأَغَانِي ج ٩ ص ١٠٩

ودونك مثلاً لموسيقا اللفظ في قوله يمدح الأسود بن المنذر (١) :

يَهَبُ الْجِلَّةُ الْجَرَاجِرَ كَالْبُـ	سَنَانٍ تَحْنُو لِدَرْدَقٍ أَطْفَالِ
وَالْبَغَايَا رَكُضْنَ أَكْسِيَةَ الْأَضَى	مَرِيحٍ وَانْفِرَ عَيْيَ ذَا الْأَذْيَالِ
وَجِيَادًا كَأَنَّهَا قَضَبُ الشَّوْ	حَطٍ يَحْمِلُنْ شِكَّةَ الْأَبْطَالِ
وَالْمَكْنَاكِيكَ وَالصِّحَافَ مِنَ الْفَيْضِ	ةِ وَالضَّامِرَاتِ نَحْتِ الرِّجَالِ

ففي البيت الأول كلمات لها جلبة وضجيج كالجيلة والجراجير والدردق ، وكلمات خافتة الجرمس كمثل (يَهَبُ) و (البُسْتَانِ) و (تَحْنُو) .

وفي البيت الثاني موسيقا 'مطرردة' الثغفات إلا ما أحدثته كلمة 'الاضربج من ضجيج' .

وموسيقا البيت الثالث 'ترق' عن موسيقا الثاني ، لكنها تختلف شدة ولينا فيما بين (الشوَحَط) و (يَحْمِلُن) و (شِكَّة) .

وموسيقا البيت الرابع 'نطرردة' شدة ، وتختلف طولاً وقصرًا .

ومها 'تكن' موسيقا اللفظ والآيات فإنها تبدو ملائمة لموضوع المدح ، فأصوات المقاطع ، وأصوات الحروف من مثل الجيم والذال والراء والسين والشين والصاد والضاد والقاف ، وأصوات الكلمات المتعاقبة ، توحى إلى النفس بأمور 'نحيحها' ، ولا 'تتبيئها' .

وفي شعره موسيقا لفظية 'مطرردة' النغمة ، 'قولدت' من 'تكرار

مقاطعَ وتراكيبَ واحدة ، وكلماتٍ متشابهة في وزنها وتركيبها وبنيتها ،
ومن شأن هذا كله أن يحدث نغمة واحدة كما في قوله (١) :

نَقَامَ نَصَبٌ لَنَا نَهْوَةٌ نَمَكَيْنَا بَعْدَ إِرْقَادِهَا
كُمَيْنَا تَكْشَفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صَرَّحْتَ بِمَدِّ إِزْبَادِهَا
كَعَوَسَةِ الرَّأْلِ فِي دَنْيَا إِذَا صَوَّبْتَ بِمَدِّ إِفْقَادِهَا

ففي الأشطر الثانية تتكرر كلمتا (إذا) و (بعد) ، وتتفق كلمتا
(صرَّحت) و (صوّبت) وزناً ، كما تتفق القوافي وزناً ، و تتشابه
في أغلب الحروف . وكل هذا يحدث صوتاً موسيقياً قوياً .

وقد تنبّه القدماء إلى ما في شعر الأعشى من حركة وجلبية
وضوضاء ، وهي ترجيع إلى أسباب .

فهو يكرر الحرف الواحد في الشطر الواحد مرتين (٢) :

نَمَاطِي الضَّجِيعِ إِذَا أَقْبَلْتُ بَعِيدَ الرَّقَادِ وَهَيْدَ الثَّوَسَنِ
صَلِيفِيَّةٌ طَبِيئاً طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ يَبِينُ كُوبٍ وَدَنٍ

أو يكرر الحرف ثلاث مرات في الشطر (٣) :

وَشَاءَ إِذَا شَتْنَا كَيْشَ بِمَحْمَرٍ وَصَبَاءَ مِنْ بَادَأَ إِذَا مَا تَصَفَّقُ

(١) الديوان ص ٥٢

(٢) الديوان ص ١٥

(٣) الديوان ص ١٤٧

أو يكرر حرفين مختلفين مرات في البيت (١) :

وَقَدْ أَرَاهَا وَسَطَ أَنْرَابِهَا فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
كَدُمِيَّةٍ صَوَّرَ عَحْرَابُهَا بِمُذْهَبٍ فِي مَرْمَرٍ مَسَاثِرِ
أو يكرر كلمة واحدة (٢) :

فَبَانَتْ فِي الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا كَصَدْعِ الزُّجَّاجَةِ مَا يَكْتَشِمُ
أو يكرر كلمتين (٣) :

تَرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقِهَا يَتَمَطَّقُ
أو يكرر كلمتين من وزن واحد ، متشابهتين في نوع حروفها
وعدها (٤) :

غُرَّاءُ فَرَّعَاءُ مَصْقُولٌ هُوَ أَرْضُهَا تَنْشِي الْمُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجِيلُ
وقد تتوَلَّد الجَلْبَة من تشديد حرف أو قَوَالِي حرف واحد
في بنية الكلمة (٥) :

فَازَعَتْهُمْ قَضْبُ الرُّبْعَانِ مُتَكِيًا وَقَهْوَةُ مُزْنَةٍ رَاوَوْقُهَا خَضِيلُ
وقد تتوَلَّد من تَكَرُّر مقطع واحد في الكلمة (٦) :

يَسْمَى بِهَذَا زُجَّاجَاتُ لَهْ نَطْفُ مُقَلِّصُ أَسْفَلِ الْيَرْبَالِ مُعْتَمِلُ

(٢) الديوان ص ١٠٤

(٢) الديوان ص ٢٨

(٣) الديوان ص ١٤٧

(٤) الديوان ص ٤٢

(٥) الديوان ص ٤٥

(٦) الديوان ص ٤٥

وأما موسيقا القافية فثما "تتم" موسيقا الوزن ، ولها وقع "حسن" في السمع ، وتلاحظ في دراسة القوافي أن الشاعر "تجسست" الصعوبة منها ، واختار القوافي الملائمة لموسيقا الوزن .

وقد دل "اختيار" لقوافيه على قريحة صافية وذوق موسيقي ، ذلك أن اختيار القوافي "أصعب" من اختيار الأبحر ، فأما الأبحر فمحدودة المدد ، وأما القوافي فلا تحصر لها . وعلى قدر غنى لغة الشاعر وإحساسه ، وحسن دوقه ، يكون توفيقه في اختيار قوافيه .

ويبدو حسه الموسيقي في قوله (١) :

خاطط القلب مغموماً وحزن	وإذا كرا أبعد ما قيل أظمان
فهو مشغوف بهيد هائيم	يرعوي حينا وأحيانا يحين
بلغموب طيب أردد أنفاسها	رخصة الأطراف كالريثم الآن
خلقت هند لقلبي فتنة	هكذا تعرض للناس الفتن

فالقافية هنا متممة للبيت ، مندمجة في معناه ، مكتملة لوزنه ، ولها بعد ذلك رنين في الأذن ، أشبه برنين الوتر والصنج ، وربما حمل الرنين أصداة الموسيقى التي استقرت في نفس الشاعر . وهكذا اجتمع للبيت عذوبة البحر ، ورننة القافية .

ونسلم رنة عالية سرية في قوله (٢) :

(١) الديوان ص ٢٢٧

(٢) الديوان ص ٣٤ - ٣٥

أَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا وَشَعَلْتَ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا
وَبَانَتْ بِهَا غَرَبَاتُ النُّوَى وَبَدَّلْتَ شَوْقَهَا وَادِّكَارَا

فالبحر هو المتقارب ، ويمتاز بنعمة سريعة ، ونبرة واضحة ،
ورنة الراء هنا أقصر أمداً من رنة النون في الآيات السابقة .

ونسلم رنة قصيرة خافية حلو في قوله (١) :

وَتَحْمُولِ تَحْسِبِ الْعَيْنِ إِذَا صَفِيقَتْ وَرُدَّتْهَا فَوْزَ الذَّبِيعِ
مِثْلَ ذَكِّي الْمِسْكِ ذَاكَ رِيحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ قَوْحُ
تَحْسِبِ الزَّيْقَ لَدَيْهَا مُسْنَدًا حَبَشِيًّا قَامَ عَمْدًا فَانْبَطَحَ

ونسلم رنة عذبة صافية في قوله (٢) :

مِنْ دِيَارِ الْهَضْبِ هَضْبِ الْقَلْبِ فَاضَ مَاءُ الشُّثُونِ فَيْضَ الْغُرُوبِ
أَخْلَفْتَنِي بِهِ قَبِيلَةٌ مِمَّا دِي وَكَانَتْ لِلْوَعْدِ غَيْرَ كَذُوبِ
طَبِيبَةٌ مِنْ طِبَاءِ بَطْنِ خَسَافٍ أُمُّ طِفْلِ بِالْعَجْوِ غَيْرِ رَيْبِ

فالرؤي الباء هيئ في السمع ، ينساب إلى النفس انسياباً
فلا يحدث جلبة .

ونسلم رنة قصيرة قوية ملائمة لنغم المتقارب السريع القصير (٣) :

(١) الديوان ص ١٦٢ - ١٦٣

(٢) الديوان ص ٢١٨ - ٢١٩

(٣) الديوان ص ٢٨

أَنْتَهَجُرُ غَابِئَةً أَمْ تَلِيْمُ أَمْ الْحَبْلُ وَأَمْ بِهَا مُنْجَذِمُ
فَبَاتَتْ فِي الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا كَصَدْعِ الرَّجَاجَةِ مَا يَلْتَشِيْمُ
تلكُ صَوْرَةٌ مِنْ اقْوَانِي اخْتَارَهَا الشَّاعِرُ ، وَدَعَمَ بِهَا مُوسِيْقَا
الْأَبْحَرِ الَّتِي نَظَمَ عَلَيْهَا قِصَائِدَهُ .

وَالْأَبْحَرُ الَّتِي اخْتَارَهَا لِلنَّظْمِ هِيَ الطَّوِيلُ ، وَالتَّقَارِبُ ، وَالْخَفِيفُ ،
وَالْوَافِرُ ، وَالْبَسِيطُ ، وَالْكَامِلُ ، وَمَجْزُوءُهُ ، وَالرَّمْلُ ، وَالسَّرِيعُ ، وَالْمُنْسَرِحُ ،
وَمَجْزُوءُ الرَّجَزِ .

وَالْبَحْرُ الَّذِي نَظَمَ عَلَيْهِ أَعْلَبَ شَعْرِهِ هُوَ الطَّوِيلُ ، وَيَلِيهِ التَّقَارِبُ ،
فَالْوَافِرُ ، فَالْخَفِيفُ ، فَالْبَسِيطُ ، فَالْكَامِلُ ، فَمَجْزُوءُهُ ، وَالْأَبْحَرُ الْخَمْسَةُ
الْأُولَى نَظَمَ عَلَيْهَا بِنَسْبَةٍ وَاحِدَةٍ .

أَمَّا أَبْحَرُ الرَّمَلِ وَالسَّرِيعِ وَالْمُنْسَرِحِ فَقَدْ نَظَمَ عَلَيْهَا بِقِلَّةٍ ،
وَنَظَمَ قَصِيدَتَيْنِ عَلَى كُلِّ مَنِ الرَّمَلِ وَالسَّرِيعِ ، وَقَصِيدَةً عَلَى الْمُنْسَرِحِ .
وَيَعْنِيْنَا مِنْ تِلْكَ الْأَبْحَرِ ثَلَاثَةٌ : الطَّوِيلُ وَالتَّقَارِبُ وَمَجْزُوءُ الْكَامِلِ .
فَأَمَّا الطَّوِيلُ فَقَدْ نَظَمَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ كَثِيرًا .

وَأَمَّا التَّقَارِبُ فَهُوَ بِحَرِّ سَهْلٍ ذُو نَعَمٍ مُطَرَّبٌ ، يَمْتَنِزُ بِشَيْءٍ مِنْ
الشَّدَةِ وَالْعُنْفِ ، وَقَدْ نَظَمَ عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ تِسْعَ قِصَائِدَ ، وَنَعَمُهُ يُقَارِبُ
رَنِينَ الصَّنَجِ وَالزَّهْرِ .

وَأَمَّا مَجْزُوءُ الْكَامِلِ فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّاعِرَ جَدِيدٌ فِي أَنْ يَسْتَخْرِجَ
أَوْزَانًا جَدِيدَةً ، وَهَذَا الْبَحْرُ مُحَرَّرٌ مُرَقِّصٌ .

٥ - منزلته :

افتن^١ الرواة والأدباء في تقديم شعراء الجاهلية بمضيهم على بعض ،
فقال ثونث النحوي^٢ إن سأله عن أشعر الناس (١) : « امرؤ القيس^٣ »
إذا تغيب ، والنايفة^٤ إذا رهيب^٥ ، وزهير^٦ إذا رغب^٧ ، والأعشى^٨
إذا طرب^٩ .

ومعنى هذا أن الشعراء الأربعة^{١٠} يؤلفون الطبقة الأولى ، ولكنهم
يختلفون فيما بينهم إجادة لهذا الفن أو ذلك ، فامرؤ القيس^{١١} عرف بوصف
الخيول والصيد ، والنايفة^{١٢} بالاعتذار ، وزهير^{١٣} بالمدح ، والأعشى^{١٤} بوصف الحمر .

غير أن امرأ القيس لم يشرف بوصف الخيل والصيد وحسب^{١٥} ،
وإنما عرف بالفزل واللهو والمجون ، والنايفة^{١٦} لم يشتهر باعتذار بثاته
وحسب^{١٧} ، وإنما اشتهر بالوصف والمدح والمجاء ، وزهير^{١٨} أجاد المدح كما أجاد
الوصف والفزل والمجاء ، والأعشى^{١٩} قال في الحمر كما قال في الفزل
والمدح والفخر .

وعرف الأعشى بأنه (٢) « أحد الأعلام من شعراء الجاهلية
وفحولهم » ، وهذا القول يؤيد ما ذهبنا إليه من أنه « يعد بين
المشهورين من شعراء الجاهلية » .

وشهد حسان لقيلته بالشعر فقد جاء في الأغاني (٣) « أن حسانا

(١) الأغاني ج ٩ ص ١٠٨

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٨

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩

سئل من أشعر الناس ؟ فقال : أشاعر بينه أم قبيلة ؟ قالوا : بل قبيلة . قال : الزرق من بني قيس بن ثعلبة ، وهذا القول يدل على أن الشعر أصيل في قبيلة الأعرى .

ومن الرواة من قدم الأعرى لتخصيصه في قصائده ، ولتصرفه في فنون من الشعر ، فقال أبو عبيدة (١) : « من قدم الأعرى يجتج به بكثرة طوالة الجياد ، وتصرفه في المديح والمجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره ، وهذا يعني أن الأعرى قدم على غيره من شعراء الجاهلية لطول قصائده ، ولا جادته مختلف الفنون .

وقدّمه بعض الرواة والأدباء من غير أن يبيّنوا سبب تقديمهم له ، فقد كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه (٢) ، ويوصي الناس بشعره ، فيقول (٣) : « عليكم بشعر الأعرى فاني شبهته بالباري يصيد ما بين المندليب إلى الكركي ، ويعني أبو عمرو بقوله أن الأعرى امتاز بتصرفه في فنون الشعر .

وقدّمه حماد على جميع الشعراء (٤) ، وحين سأله المنصور عن ذلك قال : نعم « ذلك الأعرى صئاجها » .

وذهب بعضهم إلى أنه أستاذ الشعراء في الجاهلية ، وجري أستاذهم

(١) الأغانى ج ٩ ص ١٠٩

(٢) المصدر نفسه ص ١١٠

(٣) المصدر نفسه ص ١١٠

(٤) المصدر نفسه ص ١١٠

في الاسلام ، فقد قال مجبى بن الجَوْن العَبْدِيّ راويةً (١) :
«نحنُ حاكّةُ الشعرِ في الجاهلية والاسلام ، ونحنُ أَعْلَمُ الناس به ،
أعشى بنُ قيس بنِ ثعلبة أستاذُ الشعراء في الجاهلية ، وجريءُ بنُ
الحطّافي أسنّاذُهم في الاسلام» .

وذكر ابن سلام (٢) : «أن علماء بصرة كانوا يُقدِّمون امرأ
القيس بنَ حَجْر ، وأهل الكوفة كانوا يُقدِّمون الأعشى ، وأن أهل
الحجاز كانوا يقدمون زهيراً» .

وأما تقديمُ أهلِ البصرة والكوفة لأمريء القيس والأعشى فسببه
أن كثرة الناس فيها كانت يمنيةً ربميّةً . فقد كان امرؤ القيس من
اليمانية ، والأعشى من ربيعة .

وأما تقديمُ زهير في الحجاز فسببه أن الشاعر كان متصلاً بهذا
الاقليم اتصالاً موطنياً ونسبياً وثقافياً وسياسياً (٣) .

وأشار حماد إلى إجادة الأعشى في وصفِ الحجر ، فقد سُئِلَ عن
أشعرِ العرب ، فأجاب من شعره متمثلاً بقوله (٤) :

نَازَعَتْهُمْ قَضْبُ الرِّيحِ حَانَ مُشْكِيئًا وَقَهْوَةٌ مُرَّةٌ رَاوَوْفُهَا تَخْضِيدُ

(١) الأغاني ج ٩ ص ١١٢

(٢) طبقات الشعراء . دار المعارف ص ٤٤

(٣) في الأدب الجاهلي ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٤) الأغاني ج ٩ ص ١١٢

وهي إشارة إلى فن البحر الذي أتقنه الشاعر أيها إتقان .

والحق أن الشاعر أجاد هذا الفن حتى تعدّه الرواة والنقاد شاعر البحر في الجاهلية ، والأخطل شاعرها في الإسلام ، وأبو نواس شاعرها في العصر العباسي .

لقد أكرّ الأعشى من وصف البحر وأدواتها ، وافتن في تصوير بحاليسها ، ووصف أثرها في النفس ، وأتى بصور دقيقة متنوعة حملت آثار البيئات الحضرية .

وانشجعت شمرياته بالسهولة والسلاسة والركة ، وعبرت عن عاطفته ومزاجه .

وقد أشار القدماء إلى تأثيره فيمن تلاه من الشعراء أمثال الأخطل وأبي نواس ، وساقوا الأمثلة على ذلك .

فالأعشى بُشّيّه زيق البحر بحبشي ثم مُنبطعاً على الأرض .
تحسب الزيق لديها مُسنداً حبشياً ثم عمداً فانبطح
والأخطل يفيد من صورة الأعشى فيشبه زقاق البحر برجال من
الشودان عرّاة :

أناخوا فجراً واشاصيات كأنها رجال من الشودان لم يتسربلوا

والأعشى يصور قدرة ربيع الخمر على شفاء المزكوم :
وَأَذْ كُنْ عَاتِقٌ جَعْدٌ يَبْعَلُ صَبْعُهُ لَرِيحٍ
صَبْعُهُ صَبَا
صَبْعَتْ بِرَاحِيهِ شَرْباً كِراماً
كربيع الميسك تستل الزكاماً
من الثلاثي حملن على الروايا
الدراب

ويقول الأخطل في هذا المعنى فيَقْصِرُ عن بلوغ شَأْنِ الأعشى :
وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْأَكْفُ زُجَاجُهَا تَفَحَّتْ قُنَالُ رِيَاحِهَا التَّرْ كُومُ

ويقول الأعشى في وصف صفاء الحجر :
تَرَبَّكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ
فَيَقْصِرُ عَنْهُ الْأَخْطَلُ فِي قَوْلِهِ :

وَلَقَدْ تَبَاكَرْتُ عَلَى لَذَائِهَا صَبَاءُ عَالِيَةِ الْقَذَى خَرْطُومُ
ويقول الأعشى في إيمانه الحجر :

وَكَأَنَّ ثَمَرِيَّتِي عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا رِيَهَا
فَيُوسِّعُ أَبُو نَوَاسٍ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

دَعْ عَنْكَ لَوْنِي فَإِنَّ اللَّوْنُ إِغْرَاءُ وَدَاوَيْتُ بِالنَّيِّ كَأَنَّ هِيَ الدَّاءُ
وذلك يدل على سبق الأعشى في مضمون الحجر ، فهو الذي فتح
للشعراء باب القول في هذا الفن ، وَجَرَى الشعراء على غِرَارِهِ
فِيَا بَعْدَ .

فالأعشى كان من قبيلة "فطيرت" على قول الشعر ، وقد تصرّف
في مختلف فنون ، فنزّر شعره ، وطالت قصائده ، وعرف بالفضل
والجر والمدح والفخر ، واعتُبر أحد الشعراء الأعلام في العصر الجاهلي .

وانفرّد بالاجادة في وصف الحجر حتى عدّه الرواة والنقاد شاعرًا
في الجاهلية ، وشهدوا له بتأثيره فيمن تلاه من شعرائها كالأخطل وأبي
نَواَاسٍ في العصرين الأموي والعباسي .

الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام والقبائل
- ٢ - فهرس المواطن والبلدان
- ٣ - فهرس القوافي
- ٤ - فهرس المصادر والمراجع
- ٥ - فهرس الموضوعات

فهرس الاعلام والقبائل

٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥

امرق القيس ٢١، ٢٩، ٣١، ٤١،

٧١، ١٠١، ١٠٣

أمية بن أبي الصلت هـ

الأنباري ٢٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤

الاستاني (قواد أفرام) ٧

بشار ١٠٣

أبو بصير (انظر : الأعشى)

بكر بن وائل ٦، ٨، ٩

بشر بن عمرو بن قرشه ٢١

أبو تمام ٧٧

تيم (قبيلة) ٨، ٢٤

ثمود ١٠

ثعلب ٢٧

الأخطل ٣، ٤٧، ٥١، ٥٦، ٥٧،

٥٩، ١٠٤، ١٠٥

أسد بن ربيعة ٧٩

الأسود بن النذر ١١، ٦٤، ٦٥،

٦٦، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٩٥

الأسود العنسي ١٠، ١٢، ٦٤

الأشعث بن قيس الكندي ٦٤

الأعشى (ميمون بن قيس) ٣، ٤، ٤٤

٥، ٦، ٧، ٩، ١١، ١٢، ١٣،

١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١،

٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧،

٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٠،

٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٤،

٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢،

٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠،

٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦،

٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٩،

جَبِيْثَةُ ٨٤

جدبس ٨ ، ١٠

ابن جرم (المضاض) ٢٤

جرير ١٠٢ ، ١٠٣

ابن جسر ٧

جفنة (قبيلة) ١٧

جَبِيْثَام (شاعر من بكر) ٩

الحارث بن عوف ٧٦

ابن حرب ٢٥

حسان بن ثابت ١٧ ، ٤٢ ، ١٠١

حسان بن عمرو بن مرشد ٢٠

الحطيفة ١٣

حماد ١٠٢ ، ١٠٣

حمير ٦٤

حنيفة (قبيلة) ٢٤

حَلِيْثَةُ (فتاة) ٢١

الخليع ٥٧ ، ٦١

داود (النبي) ٦٧ ، ٧٢

دُهل بن شيان ٧٧

دودان ٦٧

ذيان ٦٧ ، ٧٦

الرباب ٦٧

ربعة (قبيلة) ٦ ، ٦٤ ، ١٠٣

الرسول (مر) ١٢ ، ١٣ ، ١٤

زاهر بن سيار ٧٧

زهير بن أبي سلمى ٣ ، ٦ ، ٦٢ ، ٧١

٧٥ ، ٧٦ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١٠٣

زياد بن معاوية (انظر : النابغة)

أبو سفيان ٨ ، ١٣ ، ٦٢

ابن سلام ٢١ ، ٣١ ، ١٠٣

سلامة (ذو فائش) ١٠ ، ٦٣

السموأل ١٠

سميار (قبيلة) ٧٧

شاكر (احمد محمد) ٧

الشمي ٣٠

صناعة العرب (انظر : الأمشى)

ضبيع ٧٧

طرفة بن العبد ٦ ، ٢٢ ، ٨٢

طشم ٨ ، ١٠

طه حسين (الدكتور) ١١ ، ١٢

٦١ ، ٦٤

عاد ١٠

بنو عامر (قبيلة) ١٢

طامر بن الطغفيل ١٢ ، ٦٤

العباد ١١

عبد المدان ١٠

عبد القيس ٨

عبس ٧٧

أبو عبدة ٨٢ ، ١٠٢

عدي بن زيد ١٧ ، ٢٠ ، ٤٢ ، ٤٥

٤٧

علقمة بن عبدة ٤٢

علقمة بن ثلاث ١٢ ، ٦٤

عنزة ٤٤ ، ٤٥ ، ٨٩

عنزة (قبيلة) ٩ ، ٢٩

أبو عمرو بن العلاء ١٠٢

غسان ٢٣

الفساسنة ١٥ ، ٦٢

الفرس ١٠ ، ١٥ ، ١٩

قاييا (قبيلة) ٥١ ، ٥٣

قتيلة ٢٩ ، ٣٣ ، ٩٩

ابن قتيبة ٧

قتيل الجوع (لقب أبي الأعشى)

قربش ٢٦ ، ٦٢

قشير بن كعب ٧٩

قصي ٢٤

قيس بن ثعلبة ٧٧ ، ٧٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣

قيس بن جندل (أبو الأعشى) ٨ ، ٩

قيس بن معد يكرب ١٠ ، ٢٤ ، ٢٦

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

٨٣ ، ٨٩

كسرى ١٥ ، ٥٨ ، ٦٣

كعب بن سعد ٧٧

كلب (قبيلة) ١١

كثدة ٦٤ ، ٧٣

ليد ١٣ ، ٢٥ ، ٤٤ ، ٩١ ، ٩٢

لويس شيخو (الأب) ١١ ، ١٧ ، ٢٣

المحقق الكلابي ١٠ ، ١١ ، ٦٢

محمد حسين (الدكتور) ٩٠

محمد رسول الله ٢٦ ، ٦٢ ، ٦٤

محمد حسين (الدكتور) ٨

محمود محمد شاكر ٢١

مسعود (قبيلة) ٧٩

المسيب بن علس ٩

مضمر ١٤ ، ٦٤

هرم بن سنان ٦٢ ، ٧٦
 هريرة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤
 ٣٦ ، ٧٨ ، ٨٥
 ابن هشام ١٤
 همام ٧٧
 هوفذة بن علي ٢٤ ، ٦٤ ، ٧١
 ورقة بن نوفل ٦
 الوليد بن يزيد ٥٧ ، ٦١
 يحيى بن الجون ١٠٣
 يحيى بن مقي ٢٥
 يزيد بن مسهر الشيباني ٧٧ ، ٧٩
 ٨٠ ، ٨٥
 يونس النحوي ١٠١

المناذرة ١٥ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٦٢
 المنصور ١٠٢
 ميثاء ٣٢
 النابغة ٧ ، ١٧ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨
 ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠١
 النجاشي ١٦ ، ٦٣
 النعمان بن المنذر ١١ ، ١٨ ، ٢١
 ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٩١
 نوار ٤٥ ، ٩١
 أبو نواس ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٨
 ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥
 هزّان (قبيلة) ٩ ، ٢٩

فهرس المواطن والبلدان

٣١ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٩٣	الأبلىق (حصن السموأل) ١٠
الخليج الفارسي ٧ ، ١١	أنثفت (قرية في اليمن) ١١
الشام ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٦٣	أرض النبط (موضع) ٦٣
السودان ٥٧ ، ١٠٤	أوريشليم ١٦ ، ٦٣
الطائف ١٦	بابل ٤٩
العراق ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٧ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣١ ، ٢٠ ، ١٩	البحرين ٧ ، ٨
٦٨ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣	البصرة ٧١ ، ١٠٣
المعجم ٦٣	بطان خشاف ٩٩
العرض ٧ ، ٨	بيروت ١١ ، ١٢ ، ١٧
عكاظ ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦	الجزيرة العربية ٥ ، ١١ ، ١٨ ، ٨٦
عمّان ١١ ، ٦٣	الحجاز ٧ ، ١٠ ، ١٥ ، ٦٣ ، ٧١
فارس ١١ ، ١٩ ، ٢٠	١٠٣
الفترات ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥	حضر موت ١٦
قران ٧	حصن ١٦ ، ٦٣
	الحيرة ١١ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠

نجران ١٠ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٦٤
 هضيب القلب (موضع) ٩٩
 وَجْرة ٨٧
 الياحة ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٣ ،
 ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٩٣ ،
 اليمن ٧ ، ١١ ، ١٦ ، ٦٣ ، ٦٤
 يوم العين ٨١

قريش ١٣
 الكوفة ٦٤ ، ٧١ ، ١٠٣
 الكعبة ٨٠ ، ٢٤
 المدينة المنورة ١٤
 منفوحة ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٠ ،
 ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٩٣
 مكة ١٤ ، ١٦ ، ٦٢
 النبط (موضع) ١٦
 نجد ٧ ، ١٥ ، ١٨ ، ٦٣

★ ★ ★

فهرس القواني

<p>تَضَرِبُ ٤٩ تَقْطُبُ ٤٩ كوكبُ ٧٥</p>	<p>و ٤</p>
<p>ب</p>	<p>إعفاء ٥٨ القاء ٤٦ ، ٥٨ ، ١٠٥ سقاء ٥٨ لألاء ٥٨ السا ٥٨ واضواء ٥٨</p>
<p>ريب ٩٩ الروب ٩٩ كذوب ٩٩ أضايها ١١ بأسايها ٢٩ جلبايها ٢٩ لألمى بها ٢٩</p>	<p>٥</p>
<p>ت ت</p>	<p>عتائكا ٧١</p>
<p>أذاتها ٤٨</p>	<p>ب ب ب</p>
	<p>تَضَرِبُ ٢٥</p>

ع
ح

٩٩٠٠٠	نَوَّحْ
٩٩٠٤٩	الذَّائِعْ
٥٢	الرَّيْبَعْ
١٠٤٠٩٩	فَانْبَطَحْ
٥٢	كَسَحْ

د

د

٧١	بَارِدَا
٧٣	حَارِدَا
١٣	الْمُسْتَهْدَا
٧٤	الْمَقَالِدَا

د

٩١	الْجُدْ
٦٦	الْبَرْدْ
٩١	الْبَعْدْ
٦٦	بِالْجَرْدْ

بِالزَّيْدْ ٦٩

تَزَيَّدْ ٤٣

تَشَدَّدْ ٤٣

تَصَطَّطْ ٤٢

الْجُدُّ ٦٦

دَوْنْ غَدِ ٧٠

مُؤَدِّي ٤٣

فَارَدَدِ ٤٢

الْيَدِ ٦٦

التَّجَرَّدِ ٤٣

التَّوَرَّدِ ٤٣

مَصَادِ ٣٨

الْمُعَبَّدِ ٤٣

الْمُعَمَّدِ ٤٣

وَالْخَضَدِ ٦٩

وَالنَّجْدِ ٧٠

وَمُنْثَلِدِي ٤٣

وَمُجَسَّدِ ٤٣

وَحَدِ ٩١

إِرْعَادِهَا ٩٦٠٥٢٠٥٠

إِزْبَادِهَا ٩٦٠٥٠

إِقْصَادِهَا ٥٢

ثُزَارَا ٩٩ ، ٣٨ ، ١٨

جُؤَارَا ٢٤

حَارَا ٦٠

دُورَا ٧٢

دُكُورَا ٧٢

زُمُورَا ٤٠

سُفَارَا ٣٨

الْفُيَارَا ٢٤

فُتُورَا ٤٠

قُفِيرَا ٧٢

قُفَارَا ٧٢

الْقُفِيرَا ٧٢

الْقُفَارَا ٤٧

مُكُورَا ٨٩

وَادُكَارَا ٣٨

وُسَارَا ٢٤

إِفَارَا ٥٢ ، ١٩

إِسَارَا ٥٢ ، ١٩

سُؤَارَا ٥٢ ، ١٩

فُؤَارَا ٥٣ ، ١٩

مُخَارَا ٥٣ ، ٥١

إِقَادَا ٩٦

إِكْسَادَا ٨٧ ، ٥٣ ، ٢٢

بَاجْسَادَا ٣٧

بِتْنَادَا ٥٣ ، ٢٣

بِفِرْسَادَا ٥٠

جُدَادَا ٥٣ ، ٢٣

حَدَادَا ٨٧ ، ٥٣ ، ٤٨ ، ٢٢

رَقَادَا ٣٧

شِهَادَا ٥٣ ، ٢٣

فِئَلُ بَهَا ٢٩

لَأَنَدَادَا ٨٧ ، ٥٣ ، ٢٣

مَقْنَادَا ٨٧ ، ٥٣ ، ٢٣

مِيسَادَا ٣٧

وَأِيقَادَا ٣٧

وَكْنَادَا ٣٧

وُؤْسْتَادَا ٣٧

ـ

ـ

ـ

ادُكَارَا ٩٩

انْحَدَارَا ٣٨

يوضعا ٢٠

ع

راضع ٩

واسع ٧٥

ق

ق

خُلُعا ٧٦ ، ٦٢

طُرُقا ٧٦

ق

إبريق ٤٥ ، ١٧

نصفق ٩٦

التصفيق ٤٥ ، ١٧

الراووق ٤٥ ، ١٧

مطروق ١٧

مُعشَق ١٥

يتملق ١٠٥ ، ٩٧ ، ٨٨

يذوق ٤٥ ، ١٧

ر

تاجر ٤١ ، ١٨

الضامير ٤٠

قابر ٣٩ ، ١٩

مائر ٤١ ، ١٨

الناظر ٢١ ، ١٨

والسامير ٩٧ ، ٤١ ، ١٨

مائر ٩٧

س

س

فارس ٥٨

العوارس

القلانس ٥٨

ع

ع

الاصبعا ٢٠

صنعا ٢٤

مُصْرَعَا ١٩

وَأَرَبَا ١٩

ل

الرجلا ٢٥
أعفاتها ٣٨
تحماتها ٨٨ ، ٧٣
جرباتها ٥٠ ، ٤٩
دعالتها ٣٨
رعاتها ٧٣
سجاتها ٧٣
وخلاتها ٣٨ ، ٣٤
ورجالها ٣٨
وسعى لها ٧١
وطعالتها ٣٨

ل

الال ٧٨
الأصل ٣٤
البطل ٧٨
تأنكيد ٧٨
تحتتمد ٧٨
تختيل ٧٤
تضرب ٧٨

تفيل ٣٧
جهلوا ٧٨
خبل ٦

خضيل ١٠٣ ، ٩٧ ، ٥٥ ، ٥١
الرجل ٨٥ ، ٧٠
زجيل ٣٤
شكد ٧٨
شميل ٣٤
شول ٥٥
تعجيل ٣٤
عجل ٧٨
الميجل ٤٥
عزل ٧٨
الفيل ٧٨
فدل ٧٨
الفضل ٥٥ ، ٧
فتمثيل ٧٨
الكسد ٣٤
عجل ٥٧
مرجل ٥٧
متدل ٧٨
متميل ٩٧ ، ٥٥

اكسائها ٥٠

فسيئها ٣٢

قبولها ٢٥

ل

الآل ٨٤

الأبطال ٦٩ ، ٦٥

الأنفال ٦٥

الأذيان ٦٥ ، ٩٥

أشغالي ٨٤

أطفال ٦٥ ، ٩٥

الأغلال ٦٥

بجبال ٦٥

البخائل ٦٥

جبل ٣٣

الجوال ٨٤

الرجال ٦٥ ، ٩٥

زلال ٨٦

سؤالي ٣١ ، ٦٥ ، ٨٤

شمائل ٨٤

الموالي ٦٥

مكتوب ٣٤

نزول ٣١ ، ٧٨

نقمة ٧٨

نشقيل ٧٨

نهلوا ٥٥

عطيل ٣٤

واحتملوا ٧٨

والفرل ٥٥

وتبئيل ٧٨

وتنزول ٧٨

وتنزول ٥٧

الوجيل ٣٠ ، ٣٤ ، ٩٧

الوعيل ٧٨

ومفصيل ٥٧

ونقميل ٢٣

وبتضيل ٧٨

يا رجل ٣٠

يتسربلوا ٥٧ ، ١٠٤

يتوئل ٥٧

يقتيل ٥٧

أيلها ٢٥

الفعال ٨٥ ، ٦٥

مبتدل ٣٣

التبذل ٣٣

المتصل ٣٣

المحال ٦٥

محول ٣٠

مفضل ٣٣

المكبد ٣٣

مكثل ٣٣

الهدال ٨٦ ، ٤٠

والأعمال ٨٥

وشمال ٣١

محول ٣٠

ل

أض ٢٥

سائلة ٧٦

م

م

الزكاما ١٠٤ ، ٥١

كراما ١٠٤ ، ٥١

م

خرطوم ١٠٥

فاحم ٤٠

متناعم ٤٠

الزكوم ١٠٥ ، ٥١

إيهامها ٤٤

إكامها ٩٢

ختامها ٤٤

زمامها ٤٤

لوامها ٩٢

مدامها ٤٤

نيامها ٤٤

ونيدامها ٤٤

م

قوهم ٨٩

مجرهم ٢٤

مسيهم ٢٤

المعلم ٤٤

مقدم ٤٤

ن

أَجُنْ ١٦
أَزَنْ ٣٢
أَطْمَأَنَّ ١٧
الْأَغْنَى ١٨
أَمِنَ ٦٣
بَلَّغَنَ ٨٩
رَزَنَ ٦٣
الرَّوَدَنْ ١٦
رَزَنَ ٨٩
السُّنَنَ ٨٩
الظَّنَّ ٤٨
الْفَنَ ١٨
الْقَرَنَ ٦٣
كَالْقَدَنَ ١٦
كَالْبِنَ ٣٢

ونكرى ٤٥
بِكَلَّم ٤٤

م

تَقِيمَ ٦٩
تَلْتَلِمَ ٦٩
تَحْدِمَ ٧٢
الْمَجَمَ ١٦
عَلِمَ ٨٧
فَأَوْرَثَكُم ١٦
مُنْجَدِمَ ٨٣ ، ١٠٠
يَلْتَمِ ٣٩ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٠
يَلْتَزِمَ ٦٩
يَنْحَطِمَ ٦٩

ن

ن

شؤون ٧

الْمِثْنُ ٨٩

وَالْحَزَنُ ٨٣

وَدَّ ٤١ ، ٥١ ، ٩٦

الْوَسْنُ ٤١ ، ٥١ ، ٩٦

يُجَبِّنُ ٨٣

يَحْنُ ٩٨

يَضَنُّ ٨٩

يَفَنُّ ٨٣

د

عَنْهَا ٤٧ ، ٥٩ ، ١٠٥

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني . مصور عن طبعة دار الكتب . الجزء التاسع سنة ١٩٦٣ م
- ٢ - جبهة أشعار العرب لأبي زيد القرشي . دار صادر . بيروت سنة ١٩٦٣ م
- ٣ - دائرة المعارف الإسلامية . المجلد الثاني
- ٤ - ديوان أبي نواس . تحقيق عبد المجيد النزالى . دار الكتاب العربى . بيروت ١٩٥٣ م
- ٥ - ديوان الأعشى الكبير . شرح الدكتور محمد محمد حسين . المطبعة النموذجية بالقاهرة سنة ١٩٥٠ م
- ٦ - ديوان شعر الأعشى . مطبعة أدلف هارموسن . بيانه ١٩٢٧ م
- ٧ - الروائم . فؤاد أفرام البستاني . العدد ٣١
- ٨ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . المدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٤ م
- ٩ - شرح القصائد الطوال الجاهليات . الأنبارى تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م
- ١٠ - شعر الأخطل تطبيق الأب أنطون صالحاني . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٨٩١ م

- ١١ - شعراء النصرانية . الأب لويس شيخو . طبعة ثانية . دار المشرق . بيروت
- ١٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م
- ١٣ - طبقات الشعراء . محمد بن سلام الجمحي . شرح محمود محمد شاكر ج ١ . دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م
- ١٤ - في الأدب الجاهلي . الدكتور طه حسين . مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٢٧ م
- ١٥ - محاضرات الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي .
- ١٦ - مختار الشعر الجاهلي - شرح مصطفى السقا . طبعة ثانية . مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٤٨ م

فهرس الموضوعات

٣	المقدمة
٥	الفصل الأول : حياة الأئمة
٦	١ - اسمه ونسبه ولقبه
٧	٢ - موطنه
٨	٣ - مولده
٨	٤ - أهله
٩	٥ - زواجه وأسرته
١٠	٦ - تطوافه
١٤	٧ - تأثره بالبيئات الشعرية
٢٠	٨ - مذهبه في الحياة
٢٣	٩ - دينه
٢٦	١٠ - وفاته
٢٨	الفصل الثاني : أغراضه
٢٨	١ - غزله

٤٢	٢ - خمره
٦١	٣ - مدحه
٧٦	٤ - فخره
٨٢	الفصل الثالث : قته
٨٣	١ - بناء القصيدة
٨٦	٢ - أسلوبه ومعانيه
٩٠	٣ - خصائصه الفنية
٩٣	٤ - موسيقا شعره
١٠١	٥ - منزلته

دليل ما اشتمل عليه الكتاب

المقدمة	٣ - ٤
موضوعات الكتاب	٥ - ١٠٥
الفهارس	١٠٦
١ - فهرس الأعلام والقبائل	١٠٧ - ١١٠
٢ - فهرس المواطن والبلدان	١١١ - ١١٢
٣ - فهرس القوافي	١١٣ - ١٢١
٤ - فهرس المصادر والمراجع	١٢٢ - ١٢٣
٥ - فهرس الموضوعات	١٢٤ - ١٢٥

حقوق الطبع محفوظة



مطبعة الشرق لعلاوي ١٨٧١٣